

الكتاب الأبيض



المغامرات المثيرة

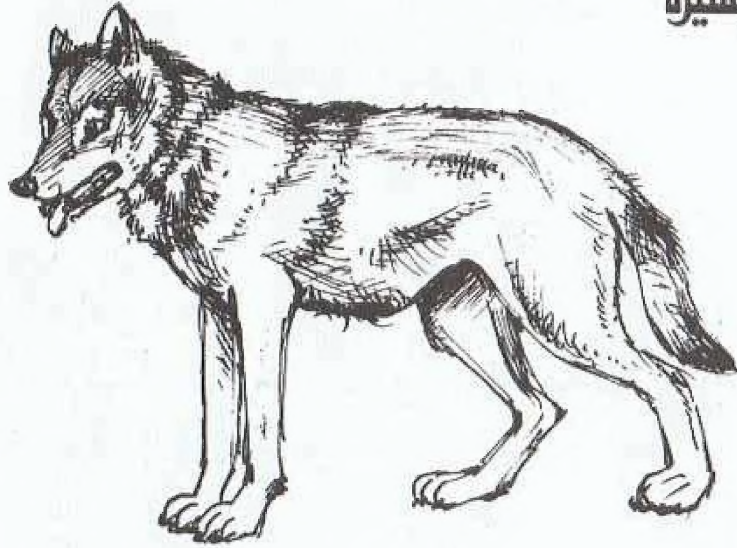




النائب الأبيض



المغامرات المثيرة



تأليف : جاك لندن

أعدّها بالعربية : مصطفى بكري أحمد البكري

راجعها : الدكتور إبراهيم عوض

رسوم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنات

رئيس التحرير : وجدي رزق غالي

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ١٩٩٢

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة ، مصر

جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأي وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الأولى ١٩٩٢

رقم الإيداع : ٥٥٩٧ / ١٩٩٢

الترقيم الدولي : ٨ - ٠٠٩٥ - ١٦ - ٩٧٧ - ISBN

طبع في دار توبار للطباعة



الفصل الأول هنري وبل

تَعْنِي كَلِمَةُ نَابِ « السَّن الطَّوِيلَةُ ». وَقَدْ أَطْلَقَ اسْمُ « النَّابِ الأَبْيَضِ » عَلَى أَحَدِ جِرَاءِ ذَبَّةٍ عَمِلَتْ فِي خِدْمَةِ بَنِي الْإِنْسَانِ ، وَعَرَفَتْ عَادَاتِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا فِي النِّهَايَةِ انْضَمَّتْ إِلَى قَطِيعِ الذَّنَابِ . وَسَوْفَ نَلْتَقِي بِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنَ الْقِصَّةِ ، وَهِيَ تُسَاعِدُ الذَّنَابَ الْجَائِعَةَ فِي اسْتِدْرَاجِ الْكِلَابِ مِنَ الْمُخِيَّمَاتِ ؛ لِكَيْ تَلْتَهُمَهَا .

فِي الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ الْقَفْرِ مِنْ كَنْدَا ، وَعَلَى مَرْكَبَةِ جَلِيدٍ (زَحَاقَةٌ) ، كَانَ ثَمَّةَ رَجُلَانِ يَتَحَرَّكَانِ فَوْقَ الْجَلِيدِ ، وَمَعَهُمَا صُنْدُوقٌ يَدَاخِلُهُ جُثَّةُ أَحَدِ الْأَثْرِيَاءِ كَانَ قَدْ أَوْصَى - بَعْدَ دَفْعِ النِّفَقَاتِ - بِنَقْلِ جُثَّتَانِهِ إِلَى مَذْفِنٍ بِالْقُرْبِ مِنْ مَوْطِنِهِ . وَكَانَ عَلَى الْمَرْكَبَةِ عِدَّةُ أَشْيَاءٍ أُخْرَى غَيْرَ الصُّنْدُوقِ ، مِثْلُ غِطَاءٍ ثَقِيلٍ مِنَ الصَّوْفِ ، وَبَلْطَةٍ ، وَأَوَانِي طَهْيٍ ، وَبَنْدُوقِيَّةٍ .

وَكَانَ يَجْرُ الْمَرْكَبَةَ سِتَّةَ كِلَابٍ يَتَجَمَّدُ بُخَارُ الْمَاءِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَوَرَ
خُرُوجِهِ مِنْ أَفْوَاهِهَا .

وَكَانَ يَمْشِي أَمَامَ الْمَرْكَبَةِ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ وَيَدْعِي هَنْرِي ، عَلَى
حِينَ كَانَ يَمْشِي خَلْفَهَا الرَّجُلُ الْآخَرُ وَيَدْعِي بِلْ . وَكَانَ
وَجْهَاهُمَا مُغْطِيَيْنِ بِالْجَلِيدِ لِدَرَجَةِ لَا يَكَادُ يَبِينُ مِنْهُمَا سِوَى الْعَيْنَيْنِ
فَقَطْ . وَأَخَذَا يُوَاصِلَانِ السَّيْرَ فِي صَمْتٍ مُدْخِرَيْنِ جَهْدَهُمَا لِحَرَكَةِ
جَسَدَيْهِمَا .

وَانْقَضَتْ سَاعَتَانِ ، وَبَدَأَ ضَوْءُ النَّهَارِ الْقَصِيرِ يَخْبُو . وَفَجْأَةً
انْبَعَثَتْ صَرْخَةٌ خَافَتُهُ أَخَذَتْ تَعْلُو شَيْئًا فَشَيْئًا ثُمَّ تَلَاشَتْ بِالتَّدْرِيجِ .
وَالْتَفَتَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي الْمَقْدَمَةِ خَلْفَهُ حَيْثُ التَّقَتْ عَيْنَاهُ عَيْنِي
الرَّجُلِ الْآخَرِ ، وَكَانَ الرَّجُلَانِ يُدْرِكَانِ مَغْزَى هَذِهِ الصَّرْخَةِ .
وَانْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ ثَانِيَةٌ مِنْ وَرَائِهِمَا وَعَنْ يَسَارِهِمَا .

قَالَ هَنْرِي : « إِنَّ الدُّثَابَ فِي أَثَرِنَا ، يَا بِلْ . »

* * *

هَبَطَ الظَّلَامُ فَدَلَفَا وَسَطَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ الْمُطْلَةِ عَلَى ضِفَةِ
النَّهْرِ ، وَأَقَامَا مُخِيَمًا . وَأَخَذَا مِنَ الصُّنْدُوقِ الطَّوِيلِ مَقْعَدًا وَمِنْضَدَةً
بِجِوَارِ النَّارِ . وَتَجَمَّعَتِ الْكِلَابُ بِجَانِبِ بَعْضِهَا بَعْضًا عَلَى الْجَانِبِ

الْآخَرِ مِنَ النَّارِ .

نَظَرَ بِلْ إِلَى الْكِلَابِ وَقَالَ : « إِنَّهَا تَحْرِصُ عَلَى الْبَقَاءِ بِالْقُرْبِ
مِنَ الْمُخِيَمِ . »

قَالَ هَنْرِي : « أَجَلْ . » ثُمَّ ذَهَبَ وَجَلَسَ عَلَى الصُّنْدُوقِ وَبَدَأَ
يَأْكُلُ ، وَجَلَسَ بِلْ إِلَى جِوَارِهِ .

سَأَلَهُ بِلْ : « هَلْ لَاحَظْتَ كَمْ كَانَتْ الْكِلَابُ هَائِجَةً عِنْدَمَا
كُنْتُ أَطْعِمُهَا ؟ كَمْ كَلْبًا لَدَيْنَا ، يَا هَنْرِي ؟ »

أَجَابَ هَنْرِي : « سِتَّةَ . »

قَالَ بِلْ : « لَقَدْ أَخْرَجْتُ سِتَّ سَمَكَاتٍ ، وَلَكِنَّ الْكَلْبَ الْمُسَمَّى
بِالْأُذُنِ الْوَاحِدَةِ لَمْ يَنْلُ سَمَكَةً ، وَلِهَذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعُودَ لِأَحْضِرَ
سَمَكَةً أُخْرَى ، وَبِذَا صَارَ الْعَدَدُ سَبْعًا . »

نَظَرَ هَنْرِي عَبْرَ النَّارِ وَقَالَ : « الْآنَ تَوْجَدُ سِتَّةَ كِلَابٍ فَقَطْ . »

« لَقَدْ شَاهَدْتُ كَلْبًا مِنْهَا يَجْرِي بَعِيدًا عَلَى الْجَلِيدِ . رَأَيْتُ أَثَارَ
أَقْدَامِهِ ، ثُمَّ أَحْصَيْتُ الْكِلَابَ فَوَجَدْتُهَا سِتَّةَ . »

وَمِنْ جَوْفِ الظَّلَامِ انْطَلَقَتْ صَرْخَةٌ طَوِيلَةٌ كَثِيئَةٌ ، فَجَاوَبَتْهَا
صَرَخَاتٌ مُتَتَابِعَةٌ ، وَتَجَمَّعَتِ الْكِلَابُ مَعًا دَلَالَةً عَلَى خَوْفِهَا .

أشار بلُ نحو الظلمة الدامسة ، وكان هناك زوج من الأعين المتوهجة كالجمر . ثم شاهدا زوجا ثانيا ثم ثالثا ... لقد كانت حول المخيم هالة من العيون المتوهجة . وفي اندفاع خوف مفاجئة أقبلت الكلاب واختبأت بين سيقان الرجلين .

قال بلُ : « أمل أن تكون لدينا طلاقات كافية للبندقية . ترى كم طلقة بقيت لدينا ؟ »

أجاب هنري : « ثلاث ليّتها كانت ثلاثمئة طلقة ! »

* * *

وذهبا للاضطجاع .

قال هنري : « لماذا لم تهاجم كلابنا الكلب الغريب الذي اندس بينها وأخذ سمكة ؟ هذا ما يقلقني . »

وناما . وضاعت دائرة العيون أكثر ، وتجمعت الكلاب معا ، ثم ارتفعت الجلبة فاستيقظ بلُ .

وقبّاة صاح : « هنري ! لقد أصبح عدد الكلاب سبعة مرة أخرى . لقد أحصيتها للتو . »

برز نور الصباح ، وأعد بلُ الزحافة للرحيل .

قال بلُ : « هنري ! كم كلبا قلت لدينا ؟ »

أجاب هنري : « ستة . »

قال بلُ : « خطأ ! »

سأل هنري : « سبعة مرة أخرى ؟ »

أجاب بلُ : « لا ! بل خمسة ، فقد اختفى كلب . اختفى الكلب السمين . »

كِلاب .

وَهَبَطَ اللَّيْلُ ، وَتَقَارَبَتِ الصَّرَخَاتُ أَكْثَرَ . وَرَبَطَ هَنْرِي الكِلَابَ
إِلَى عَصَا طَوِيلَةٍ مُثَبَّتَةٍ فِي أَعْنَاقِهَا حَتَّى لَا يَنْقُصَ مِنْهَا أَحَدٌ .

كَانَا يُشَاهِدَانِ بِصُعُوبَةٍ أَشْبَحَا تَتَحَرَّكُ عَلَى حَافَةِ ضَوْءِ النَّارِ ،
وَأَنْبَعَثَ صَوْتٌ وَسَطَ الكِلَابِ . وَكَانَ ذُو الْأُذُنَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ يُطْلِقُ
صَرَخَاتٍ سَرِيعَةً مَحْمُومَةً جَاذِبًا الْعَصَا الَّتِي رُبَطَ إِلَيْهَا نَحْوُ الظَّلَامِ .
ثُمَّ ظَهَرَ فِي دَائِرَةِ الضَّوءِ حَيَوَانٌ يُشْبِهُ الْكَلْبَ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهُ مُثَبَّتَتَيْنِ
عَلَى الكِلَابِ ، فَأَخَذَ ذُو الْأُذُنَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ يَجْدِبُ عَصَاهُ .

قَالَ بِلْ : « إِنَّ كَبِيرَ الْأُذُنَيْنِ الْأَحْمَقَ لَا يَبْدُو خَائِفًا . »

أَجَابَ هَنْرِي : « إِنَّهَا ذَنْبَةٌ ، وَهِيَ تَسْتَدْرِجُ الْكَلْبَ خَارِجَ الْمَخِيمِ
لِتَلْتَهُمَهُ الذَّنَابُ . هَذَا مَا حَدَّثَ لِلْكَلْبِ السَّمِينِ وَلِلضَّفْدَعِ . لَقَدْ
اعْتَادَتِ الذَنْبَةُ الْمَجِيءَ إِلَى الْمَخِيمِ فِي مَوْعِدِ الْأَكْلِ . »

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ هَرَبَ كَلْبٌ يُدْعَى « سِپَانْكَر » ، وَكَانَ
هَنْرِي وَبِلْ قَدْ قَطَعَا مِئَةً مِثْرٍ عِنْدَمَا التَّقَطَّ هَنْرِي شَيْئًا ، انْضَحَ أَنَّهُ
الْعَصَا الَّتِي رُبَطَ إِلَيْهَا سِپَانْكَر . وَوَاصِلًا السَّفَرِ ، وَكَانَ الظَّلَامُ
وَالْبُرُودَةُ قَدْ أَخَذَا يَنْتَشِرَانِ فِي الْأَرْجَاءِ . وَبَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ خِيَمَ
الظَّلَامُ الدَّامِسُ ، فَأَخَذَ بِلْ الْبُنْدُوقِيَّةَ قَائِلًا : « اسْتَمِرَّ ، يَا هَنْرِي . »

الفصل الثاني

الذَّئْبَةُ

فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ تَقَارَبَتِ الصَّرَخَاتُ . وَكَانَ هَنْرِي يَطْهُو الطَّعَامَ
عِنْدَمَا سَمِعَ صَيْحَةً بِلْ ، وَرَأَى عَبْرَ الْجَلِيدِ شَبَحًا أَسْوَدَ يَلْقُهُ الظَّلَامُ .
كَانَ بِلْ واقِفًا وَفِي إِحْدَى يَدَيْهِ عَصَا ، وَفِي الْيَدِ الْأُخْرَى جُزْءٌ مِنْ
سَمَكَةٍ مُقَدَّدَةٍ .

قَالَ بِلْ : « لَقَدْ أَكَلَ نِصْفَهَا وَلَكِنِّي ضَرَبْتُهُ . تَرَى مَاذَا يَكُونُ ؟
كَلْبًا أَمْ ذَنْبًا ؟ إِنَّهُ يَأْتِي فِي مَوْعِدِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، مِثْلُهُ مِثْلُ
الْكِلَابِ ، لِيَحْصُلَ عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ السَّمَكِ . »

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ أَيْقَظَتْ هَنْرِي صَيْحَاتُ بِلْ الْغَاضِبَةِ .
سَأَلَ هَنْرِي : « مَاذَا جَرَى ؟ »

أَجَابَ بِلْ : « لَقَدْ اخْتَفَى الضَّفْدَعُ ، وَهُوَ أَقْوَى الْكِلَابِ عَلَى
الْإِطْلَاقِ ، وَهُوَ لَيْسَ بِالْكَلْبِ الْأَحْمَقِ ! » وَجَرَّ الزُّحَافَةَ أَرْبَعَةً

« يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَظِلَّ بِجِوَارِ الرَّحَافَةِ ، فَلَيْسَ لَدَيْكَ سِوَى ثَلَاثِ
طَلَقَاتٍ فَقَطْ . »

وَبَعْدَ سَاعَةٍ عَادَ بِلٌ قَائِلًا : « لَقَدْ عَادَتِ الذُّنَابُ تَتَبَعُنَا ، فَهِيَ
مُوقِنَةٌ مِنْ أَنَّهَا سَوْفَ تَنَالُنَا . إِنَّهَا نَحِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَسَرَّعَانَ مَا تُجْنُ
جَوْعًا ثُمَّ تَهَاجِمُنَا . »

وَبَعْدَ دَقَائِقَ هَمَسَ هَنْرِي : « انْظُرْ ! » فَأَوْقَفَ بِلُ الْكِلَابَ . وَعِنْدَ
آخِرِ مُنْعَطَفٍ فِي الطَّرِيقِ رَأَىهَا : كَانَ أَنْفُهَا مُتَّجِهًا إِلَى الْأَرْضِ .
وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَا تَوَقَّفَتْ هِيَ أَيْضًا وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا .

قَالَ بِلٌ : « إِنَّهَا الذُّبَّةُ ! » وَكَانَتْ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنَ الذُّبِّ
الْعَادِيِّ ؛ إِذْ كَانَ ارْتِفَاعُهَا يَبْلُغُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْمِثْرِ ، وَطُولُهَا مِثْرًا
وَنِصْفَ الْمِثْرِ . وَكَانَ لَوْنُهَا رَمَادِيًّا مَشُوبًا بِحُمْرَةٍ .

قَالَ بِلٌ مُعَلِّقًا : « لَمْ أَرَقَطُ ذُبَّاً أَحْمَرَ اللَّوْنِ . إِنَّهَا أَكْثَرُ شَبَهًا
بِكَلْبِ ضَخْمٍ . » وَنَادَاهَا قَائِلًا : « مَرْحَبًا ! أَنْتِ ! تَعَالِي هُنَا ، أَيَّا مَا
كَانَ اسْمُكَ ! »

قَالَ هَنْرِي ضَاحِكًا : « يَبْدُو أَنَّهَا لَا تَخْشَاكَ إِطْلَاقًا ! »

نَظَرَتْ الذُّبَّةُ إِلَيْهِمَا ، وَلَمْ تَرَ فِيهِمَا سِوَى فَرَسَةٍ ؛ إِذْ كَانَتْ
جَائِعَةً . فَقَالَ بِلٌ هَامِسًا : « اسْمَعْ ، لَدَيْنَا ثَلَاثُ طَلَقَاتٍ ، وَأَنَا لَا

أَخْطِئُ الْهَدَفَ . لَقَدْ اسْتَدْرَجْتُ ثَلَاثَةً مِنْ كِلَابِنَا وَيَجِبُ أَنْ نَوْقِفَهَا
عَنْ اسْتِدْرَاجِ الْمَزِيدِ ؛ فَمَا قَوْلُكَ ؟ »

أَجَابَ هَنْرِي : « أَوَافِقُ . »

وَأَرَادَ بِلٌ أَنْ يَرْفُعَ بُنْدَقِيَّتَهُ إِلَى كَتِفِهِ لِيُصِيبَ نَحْوَهَا ، وَلَكِنَّهَا لَمْ



تَكَدَّ تَصِلُ إِلَى مَا يُرِيدُ حَتَّى قَفَزَتْ الذُّبَّةُ جَانِبًا ، وَانْطَلَقَتْ تَجْرِي
وَسَطَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ وَاخْتَفَتْ .

قَالَ بِلْ : « إِنَّهَا تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْبَنَادِقِ ، وَلَكِنِّي سَوْفَ
أَنَالُهَا ! »

* * *

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَمْ يَفْقَدْ مِنْهُمَا أَيُّ كَلْبٍ ، وَلَكِنْ فِي الْيَوْمِ
التَّالِيِ اصْطَدَمَتِ الزُّحَافَةُ بِصَخْرَةٍ وَانْقَلَبَتْ ، وَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يَحْلَا مِنْهَا الْكِلَابَ حَتَّى يُمَكِّنَهُمَا إِصْلَاحُهَا . وَبَيْنَمَا كَانَا مُنْحَنِيَيْنِ
فَوْقَ الزُّحَافَةِ رَأَى هَنْرِي الْكَلْبَ ذَا الْأُذُنَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ يَجْرِي عَلَى
الْجَلِيدِ ، وَخَلْفَهُمَا كَانَتْ تَقْبَعُ الذُّبَّةُ فِي انْتِظَارِهِ .

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا أَكْثَرَ تَرَاجَعَتْ هِيَ إِلَى الْخَلْفِ ، وَخُطُوَةُ
خُطُوَةٍ كَانَتْ تَقُودُهُ بَعِيدًا عَنْهُمَا .

وَضَعَ هَنْرِي يَدَهُ عَلَى ذِرَاعِ بِلْ ، وَقَالَ : « إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ »
أَنْدَفَعَ بِلْ دَاخِلَ الشُّجَيْرَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُمَا وَبِيَدِهِ الْبُنْدُقيَّةُ .

صَاحَ هَنْرِي : « بِلْ ! احْتَرِسْ ! »

ثُمَّ وَقَعَ الْمَحْدُورُ ؛ سَمِعَ هَنْرِي طَلْقَةً رِصَاصٍ ثُمَّ طَلْقَتَيْنِ ، ثُمَّ

سَمِعَ ضَجَّةً شَدِيدَةً . وَسَمِعَ صَرْخَةً أَلَمَ ، أَعْقَبَهَا سُكُونٌ . وَأَدْرَكَ
هَنْرِي مَا حَدَثَ ، وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِكَيْ يَذْهَبَ وَيَرَى ، فَقَدْ
لَقِيَ بِلْ مَصْرَعَهُ .

رَبَطَ هَنْرِي الْكِلَابَ إِلَى الزُّحَافَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ حَبْلًا فَوْقَ كَتِفِهِ ،
وَأَخَذَ يَجُرُّ الْمَرْكَبَةَ مَعَ الْكِلَابِ . وَعِنْدَ أَوَّلِ خِيْطٍ مِنْ خِيْوِطِ الظُّلَامِ
أَقَامَ مُخِيْمًا ، وَأَحْضَرَ حَطْبًا كَثِيرًا لِيَسْتَدْفِيَ بِهِ ، وَأَطْعَمَ الْكِلَابَ ،
وَجَعَلَ فِرَاشَهُ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّارِ . وَبَقِيَ الْكِلَابَانِ قَرِيبًا مِنْهُ ، عَلَى حِينِ
كَانَتْ دَائِرَةُ الذُّنَابِ تَضِيقُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ .

وَفِي الصَّبَاحِ جَرَّ الصُّنْدُوقَ بِمُسَاعَدَةِ الْكِلَابِ ، وَوَضَعَهُ فَوْقَ
إِحْدَى الْأَشْجَارِ ، وَهُوَ يَرُدُّ : « لَقَدْ ظَفَرُوا بِـ » « بِلْ » وَرَبَّمَا يَظْفَرُونَ
بِي ، وَلَكِنَّهُمْ لَنْ يَظْفَرُوا بِذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَيِّتِ الْمُسْجَى دَاخِلَ
الصُّنْدُوقِ . »

* * *

كَانَتْ لَيْلَةٌ مُرْعِبَةٌ ؛ فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَى أَنْ يَنَامَ ، وَلَكِنَّهُ جَلَسَ
وَالْبَلُطَةُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ . وَغَلَبَهُ النَّوْمُ لِلْحَطَّةِ ، وَعِنْدَمَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ رَأَى
الذُّبَّةَ أَمَامَهُ عَلَى بَعْدِ عَشْرَةِ أَمْتَارٍ فَقَطْ . وَأَخِيرًا غَلَبَهُ النَّوْمُ . وَلَكِنْ
أَيَقُظُّهُ جَلْبَةٌ فَطِيعَةٌ ؛ كَانَتْ الذُّنَابُ تَلْتَفُ حَوْلَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،

وَقَدْ أَطْبَقَتْ أُنْيَابُ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى ذِرَاعِهِ ، فَأَخَذَ يُلْقِي بِقِطْعِ
الْحَطَبِ الْمَشْتَعِلَةِ حَوْلَهُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ، فَأَجْفَلَتِ الذُّنَابُ وَارْتَدَّتْ
عَلَى أَعْقَابِهَا وَلَكِنْ كَلْبِيهِ كَانَا غَيْرَ مُوجُودَيْنِ .

صَاحَ هَنْرِي فِي الذُّنَابِ : « إِنَّكُمْ لَمْ تَنَالُوا مِنِّي بَعْدُ ! » فَأَجَابَتْهُ
الذُّنَابُ بِزَمْجَرَةٍ غَاضِبَةٍ . وَأَقْبَلَتِ الذُّبَّةُ تَمْشِي فَوْقَ الْجَلِيدِ ،
وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ اسْتَبَدَّ بِهَا الْجَوْعُ .

وَصَنَعَ هَنْرِي دَائِرَةً كَبِيرَةً مِنَ النَّارِ وَجَلَسَ فِي وَسْطِهَا . وَأَقْبَلَتِ
الذُّنَابُ إِلَى حَافَتِهَا .

وَأَخِيرًا انْبَلَجَ الصَّبَاحُ ، وَكَانَتِ النَّارُ مَوْشِكَةً عَلَى الْخُمُودِ ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى أَنْ يَتَخَطَّى الدَّائِرَةَ طَلَبًا لِلْمَزِيدِ مِنَ الْحَطَبِ .

قَالَ هَنْرِي لِلذُّنَابِ : « يُمَكِّنْكُمْ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ فِي أَيِّ وَقْتٍ ،
فَسَوْفَ أَنَامُ . »

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ لَاحَظَ أَنَّ تَغْيِيرًا غَامِضًا قَدْ حَدَثَ ؛ فَقَدْ رَحَلَتِ
الذُّنَابُ . وَسَمِعَ صِيَاحَ رِجَالٍ ؛ فَقَدْ وَصَلَتْ أَرْبَعُ زَحَافَاتٍ إِلَى
أَعْلَى مَجْرَى النَّهْرِ ، وَأَقْبَلَ سِتَّةُ رِجَالٍ إِلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ وَسَطَ
دَائِرَةِ النَّارِ ، وَهَزَّوهُ لِكَيْ يَسْتَيْقِظَ .

قَالَ هَنْرِي : « الذُّبَّةُ الْحَمْرَاءُ ! لَقَدْ ائْتَدَسَتْ وَسَطَ الْكِلَابِ فِي

مَوْعِدِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ، وَالتَّهَمَّتْ طَعَامَ الْكِلَابِ فِي مَبْدِئِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ
التَّهَمَّتِ الْكِلَابُ ، وَأَخِيرًا التَّهَمَّتْ بِلْ . »

سَأَلَهُ الرَّجَالُ : « أَتَيْنَ اللُّوردَ الْفَرِيدَ ؟ »

أَجَابَ هَنْرِي : « فِي الصُّنْدُوقِ - أَعْلَى الشَّجَرَةِ . دَعُونِي وَشَأْنِي
وَتَصْبِحُونَ بِخَيْرٍ . »

وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَتَدَلَّى رَأْسُهُ عَلَى صَدْرِهِ . وَمِنْ بَعِيدٍ كَانَتْ
صَرَخَاتُ الذُّنَابِ الْجَائِعَةِ تَأْتِي وَاهِنَةً ، فَقَدْ ذَهَبَتْ تَبَحُّثُ عَنْ فَرِيَسَةٍ
أُخْرَى غَيْرَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَفْلَتْ مِنْ أُنْيَابِهَا .

كَانَتْ الذُّنَابُ الْآخَرَى تَنْهَشُ جَسَدَهُ ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ حَيًّا .

وَكَانَ نَصِيبُ كُلِّ ذَنْبٍ كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ اللَّحْمِ . وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ
لَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَيْلِ إِلَّا بَعْضُ الْعِظَامِ . ثُمَّ أَعْقَبَ الْوَلِيمَةُ
كَثِيرٌ مِنَ الرَّاحَةِ وَالنَّوْمِ ثُمَّ كَثِيرٌ مِنَ الشَّجَارِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ رَحَلَتْ
بَعْضُ الذُّنَابِ فِي اتِّجَاهِ وَبَعْضُهَا الْآخَرُ فِي اتِّجَاهِ آخَرَ .

وَكَانَتْ الذُّبَّةُ - وَعَنْ يَسَارِهَا ذَنْبٌ صَغِيرٌ وَعَنْ يَمِينِهَا الذُّنْبُ
الْكَبِيرُ الْأَعْوَرُ - تَقُودُ نِصْفَ الذُّنَابِ إِلَى الشَّرْقِ مَعَ مَجْرَى النُّهْرِ
حَتَّى إِقْلِيمِ الْبَحِيرَاتِ .

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَتْ الذُّنَابُ تَرْحَلُ مَشْنَى مَشْنَى ، وَفِي النِّهَايَةِ
تَبْقَى أَرْبَعَةٌ فَقَطْ هِيَ : الذُّبَّةُ ، وَالْأَعْوَرُ ، وَالذُّنْبُ الصَّغِيرُ ، وَذُوَيْبُ
عُمَرِهِ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ .

* * *

وَوَقَعَتْ مَعْرَكَةٌ ؛ إِذْ هَاجَمَ الْأَعْوَرُ وَمَعَهُ الذُّنْبُ الصَّغِيرُ الذُّوَيْبُ
ذَا ثَلَاثِ السَّنَوَاتِ . لَقَدْ نَسِيتِ الذُّنَابُ الْعَهْدَ الَّذِي خَرَجَتْ فِيهِ
لِلصَّيْدِ مَعًا ، وَالْمَسْأَلَةُ الْآنَ هِيَ مَسْأَلَةُ الرُّعْبَةِ فِي التَّكَاثُرِ ، وَهِيَ أَشَدُّ
ضَرَاوَةً مِنْ مَسْأَلَةِ الْحُصُولِ عَلَى الْغِذَاءِ .

فَبَعَثَتِ الذُّبَّةُ تُشَاهِدُ الْمَعْرَكَةَ ، وَبَدَأَتْ أَنَّهَا مَسْرُورَةٌ . وَقُتِلَ الذُّوَيْبُ

الفصل الثالث

مَوْلِدُ النَّابِ الْأَبْيَضِ

كَانَتْ الذُّبَّةُ هِيَ أَوَّلَ مَنْ سَمِعَ أَصْوَاتَ الرُّجَالِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ
مَنْ تَرَكَ الْمَكَانَ الَّذِي تَوَسَّطَ فِيهِ هَنْرِي دَائِرَةَ النَّارِ ، ثُمَّ تَبِعَهَا
الْآخَرُونَ . وَكَانَ يَقُودُ الذُّنَابُ ذَنْبٌ كَبِيرٌ رَمَادِيٌّ اللَّوْنِ أَعْوَرُ .
وَكَانَتْ الذُّبَّةُ تَجْرِي إِلَى جَوَارِهِ . وَكَانَ الذُّنْبُ الْأَعْوَرُ يَدُو شَدِيدَ
الْحَدَبِ عَلَيْهَا ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يُكْشَرُ عَنْ أَنْيَابِهِ عِنْدَمَا كَانَتْ تَسْبِقُهُ ،
وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْشَرُ عَنْ أَنْيَابِهَا عِنْدَمَا كَانَ يُحَاوِلُ الْاقْتِرَابَ مِنْهَا
أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ . وَذَاتَ مَرَّةٍ عَقَرَتْ كَتِفَهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ بَلْ
قَفَزَ جَانِبًا مُتَجَنِّبًا إِيَّاهَا .

وَعَبَّرَتِ الذُّنَابُ تِلَالًا وَأَوْدِيَّةً وَجَدَاوِلَ ، ثُمَّ رَأَتْ أَيْلًا كَبِيرَ الْحَجْمِ .
هَا هُوَ ذَا لَحْمٍ وَفَيْرٍ لَا تَحْرُسُهُ النَّيْرَانُ ! وَلَمْ تَدُمْ الْمَعْرَكَةُ طَوِيلًا ، فَقَدْ
سَقَطَ الْأَيْلُ صَرِيعًا ، فَأَطْبَقَتِ الذُّبَّةُ بِأَنْيَابِهَا عَلَى رَقَبَتِهِ ، عَلَى حِينِ

عَلَى حِينٍ وَقَفَ الْآخِرَانِ حَوْلَ جُثَّتِهِ . وَعِنْدَمَا التَفَتَ الذِّئْبُ الصَّغِيرُ
نَحْوَ جُرْحٍ فِي كَتِفِهِ ، انْتَهَزَ الْأَعْوَرُ الْفُرْصَةَ وَأَنْقَضَ عَلَيْهِ وَأَطْبَقَ
فَكِّهِ عَلَى عُنُقِهِ ، فَفَقَرَ الذِّئْبُ الصَّغِيرُ ، وَلَكِنَّ الدَّمَ تَفَجَّرَ مِنْ
رَقَبَتِهِ ، وَمَا لَيْثُ أَنْ خَرَّ صَرِيحًا .

وَأَنْطَلَقَ الْأَعْوَرُ بِجَانِبِ الذِّئْبَةِ كَصَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ مُتَفَاهِمَيْنِ .
وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَهُمَا لَا يَفْتَرِقَانِ ؛ إِذْ يَفْتَنِصَانِ فَرِيَسَتَهُمَا وَيَقْتُلَانِهَا
وَيَلْتَهُمَا مَعًا .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ انْتَابَ الذِّئْبَةُ قَلَقٌ ، وَبَدَأَ أَنَّهَا تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ مَا -
جُحْرٍ تَحْتَ شَجَرَةٍ أَوْ شَقٍّ كَبِيرٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ كَهْفٍ . مِثْلُ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَحْذِرُ عَلَى اهْتِمَامِهَا حِينَئِذٍ .

وَعَدَتْ الذِّئْبَةُ ثَقِيلَةَ الْخُطَى ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْدُوَ كَسَابِقِ
عَهْدِهَا . وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَتْ تَجْرِي فِي إِثْرِ أَرْنَبٍ ، وَلَكِنَّهَا تَوَقَّفَتْ
وَرَقَدَتْ لِتَسْتَرِيحَ . وَحِينَ اقْتَرَبَ مِنْهَا الْأَعْوَرُ هَمَّتْ أَنْ تَعْقُرَهُ ،
وَلَكِنَّهُ تَرَاوَعَ مَبْتَعِدًا عَنْهَا .

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي الْمُقَمَّرَةِ تَوَقَّفَ الذِّئْبُ الْأَعْوَرُ فَجَاءَهُ ؛ لَقَدْ
اشْتَمَّ رَائِحَةً مَا ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الذِّئْبَةَ قَدْ فَهَمَتِ الرِّسَالَةَ الَّتِي
حَمَلَهَا الْهَوَاءُ ، فَأَنْطَلَقَتْ يَتْبَعُهَا الْأَعْوَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ - عَلَى مَا يَبْدُو -



كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْأَمْرِ . لَقَدْ سَمِعَتِ الذُّبَّةُ نُبَاحَ كِلَابٍ وَأَصْوَاتَ
رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، وَصَرَاحَ أَحَدِ الْأَطْفَالِ . وَكَانَتْ ثَمَّةٌ نَارٌ مُشْتَعِلَةٌ وَخِيَامٌ
لأَحَدِ مُعَسَّكَرَاتِ الْهُنُودِ الْأَمْرِيكِيِّينَ . وَكَانَتْ الذُّبَّةُ تَبْدُو مُسْرُورَةً ؛
إِذْ ارْتَسَمَتْ فِي عَيْنَيْهَا نَظْرَةٌ وَكَانَتْهَا تَذَكَّرَتْ بَعْضَ الْأَيَّامِ الْخَوَالِيِ
السَّعِيدَةِ ، الَّتِي وَلَّتْ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ . ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَصِلَ إِلَى النَّارِ ،
وَتَنْدَسَ بَيْنَ الْكِلَابِ وَأَقْدَامِ الرِّجَالِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَلْقَ انْتَابَهَا ثَانِيَةً ،
وَشَعَرَتْ بِحَاجَتِهَا إِلَى إِيجَادِ الْمَكَانِ الَّذِي تَنْشُدُهُ كَيْ تَضَعَ فِيهِ
صِغَارَهَا .

* * *

وَأخِيرًا وَجَدَتْ مَا كَانَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ . كَانَتْ ثَمَّةٌ ضِفَّةٌ عَالِيَةٍ
نَاتِيَةً تُشْرِفُ عَلَى أَحَدِ الْجُدَاوِلِ ، وَفِي أَسْفَلِهَا كَهْفٌ صَغِيرٌ دَخَلَتْهُ
مِنْ قُتْحَتِهِ الضِّيْقَةِ . وَكَانَ أَكْثَرُ اتِّسَاعًا مِنَ الدَّخِيلِ ، كَمَا كَانَ
جَافًا وَمُرِيحًا . وَاسْتَدَارَتِ الذُّبَّةُ وَرَقَدَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَرَأْسُهَا مُتَّجِهَةً
نَحْوَ الْمَدْخَلِ .

وَتَمَدَّدَتِ الذُّبَّةُ الْأَعْوَرُ عِنْدَ الْمَدْخَلِ وَنَامَ . وَاسْتَيْقَظَتْ عَلَى صَوْتِ
خَرِيرِ مِيَاهٍ خَافَتِ . وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَكَانَ عَبَقُ الرَّبِيعِ يَمْلَأُ
الْأَجْوَاءَ ، وَحَرَكَتِ الْحَيَاةُ تَدَبُّبًا تَحْتَ الْجَلِيدِ . وَكَانَتِ الطُّيُورُ تَطِيرُ
مِنْ حَوْلِهِ ، وَكَانَ يَسْمَعُ نَغْرِيدهَا .

وَذَهَبَ إِلَى حَيْثُ تَرَقَّدَتِ الذُّبَّةُ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحُثَّهَا عَلَى النُّهُوضِ
فَرَمَجَرَتْ . وَكَانَ جَائِعًا فَذَهَبَ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ . وَلَمَّا عَادَ بَعْدَ
عِدَّةِ سَاعَاتٍ ، كَانَتْ تَصْدُرُ مِنْ دَاخِلِ الْكَهْفِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ
خَافَتُهُ . وَعِنْدَمَا رَأَتْهُ الذُّبَّةُ مُقْبِلًا كَشَرَتْ عَنْ أَنْيَابِهَا ، فَنَامَ عِنْدَ
مَدْخَلِ الْكَهْفِ . وَعِنْدَ إِشْرَاقَةِ الصَّبَاحِ نَظَرَ دَاخِلَ الْكَهْفِ فَوَجَدَ
خَمْسَةَ جِرَاءٍ ذَوَاتِ أَجْسَامٍ صَغِيرَةٍ غَرِيبَةٍ ، تَصْدُرُ عَنْهَا أَصْوَاتٌ
وَاهِنَةٌ .

وَشَعَرَ الْأَعْوَرُ بِالْحَاجَةِ إِلَى عَمَلٍ شَيْءٍ . كَانَتْ بِدَاخِلِهِ غَرِيزَةٌ
وَرَثَهَا عَنْ جَمِيعِ آبَائِهِ الذُّنَابِ ، تَدْفَعُهُ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ لِيَقْتَنِصَ ،
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُحْضِرَ فَرَسَةً . وَاثْنَاءَ بَحْثِهِ لِمَحَطَّائِرٍ يُشَبِّهُ الدُّجَاجَ
يَحُطُّ عَلَى شَجَرَةٍ مُلْقَاةٍ عَلَى الْأَرْضِ . وَمَا إِنَّ رَأَاهُ الطَّائِرُ حَتَّى حَاوَلَ
التَّحْلِيْقَ ، وَلَكِنْ الْأَعْوَرُ عَاجِلُهُ بِضَرْبَةٍ ثُمَّ أَمْسَكَ بِهِ بَيْنَ فَكَيْهِ ،
وَبَدَأَ يَلْتَهُمُهُ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ الْجِرَاءَ فَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى الْكَهْفِ .

البرية التي تعيش في ذلك الجزء القفر من شمال كندا . وأتى حين
توقف فيه تموين اللحم ، وأخذت الجراء تصيح جوعاً حتى غلبها
النوم . وكانت الحياة التي في أجسادها تخبو .

وكان الذئب الأعور يزداد توغلاً وابتعاداً عن الكهف بحثاً عن
الغذاء . كما كانت الذئبة تترك صغارها وتخرج للبحث عن
اللحم .

وعندما استيقظ الناب الأبيض ، ذات مرة ، وجد أختاً واحدة من
إخوته على قيد الحياة ، أما الباقي فقد هلك . وعندما اشتد عوده
كان عليه أن يلعب وحده ؛ لأن أخته الباقية لم تعد تقوى على أن
ترفع رأسها أو أن تتحرك ، فقد طال نومها . وأخيراً انطفأت فيها
شعلة الحياة الواهنة .

وأتى حين لم يعد الناب الأبيض يرى فيه أباه يظهر أو يختفي
خلال جدار النور . أما الذئبة فقد أدركت سبب غياب الأعور ،
فخرجت وحدها للبحث عن غذاء متبعة أثره ، فوجدت ما يدل
على وقوع معركة شرسة ، كما وجدت بعض ما تبقى من عظامه .

وعلى مر الأيام أخذ الناب الأبيض يزداد قوة ، وبسيفانه القصيرة
الفضة بدأ يخطو خطواته إلى العالم الخارجي ؛ فاخترق جدار

الفصل الرابع الناب الأبيض يشتد عوده

كان أحد هذه الجراء مختلفاً تماماً عن إخوته ، فقد كان أكثر
شبهاً بأبيه ، وكان أكبر وأقوى عضو في الأسرة ، وسوف يطلق عليه
فيما بعد اسم « الناب الأبيض » . وخلال الشهر الأول من مولده
كان يقضي معظم الوقت نائماً . ثم تفتحت عيناه ، واستطاع أن
يرى جيداً ، فكان يظل مستيقظاً لفترة أطول من ذي قبل . وكان
عالمه صغيراً جداً ، ولكنه كان يدرك أن أحد جداري هذا العالم
يختلف تماماً عن الجدار الآخر : كان ذلك هو جدار النور .

وطوال الشهر الأول من عمره كان يرضع لبن أمه ، ولكنه بعد
أن تجاوز عمره شهراً ، بدأ يتناول اللحم مع إخوته بعد أن تمضغه
أمه . أما أبوه فكان يخترق جدار النور ذاك ليحصل على الغذاء .

وسرعان ما شعر بالجوع ، مثله في ذلك مثل سائر الحيوانات

النور ، الذي كان أشد سطوعاً في الخارج . وعندما نظر إلى العالم الخارجي شعر بالخوف ينتابه ، غير أنه خطا بضع خطوات إلى الأمام ، ثم سقط وتدرج على الضفة نحو الجدول ، ولكنه واصل سيره بطريقة أفضل . لقد كان يتعلم كيف يستخدم سيقانه . ولطخته الأوجال ففقد وأخذ يلعبها بلسانه ، ثم تابع سيره حتى عثر على فريسة .

لقد وجد عش دجاج بري مختفياً وسط إحدى الشجيرات ، فسقط فيه بين سبعة دجاجات برية صغيرة . وأخذ يشم قرناً منها ، والتقطه بقمه ثم أطبق عليه بأسنانه ؛ فسال الدم في فمه . ووجد المذاق طيباً فالتهمه ثم التهم الدجاجات كلها . وعند خروجه سمع صفق جناحين غاضبين ؛ لقد عادت الأم ، فقبض بأسنانه على أحد جناحيها وجذبه . كانت تلك هي المعركة الأولى بالنسبة إليه . وأخذت الأم تضربه بجناحيها الآخر ، ثم جذبته خارج الشجيرة فجذبها الناب الأبيض بعيداً عنها ، فاستدارت ونقرته في أنفه عدة مرات أسالت الدم منه وجعلته يتألم ، فارتد إلى الخلف ، وهو يصرخ من شدة الألم ، وفر هارباً . ورقد تحت شجيرة ، وكان يخامرُه إحساس بأن خطراً مروّعاً سوف يقع . وما لبث أن رأى طائراً كبيراً أسود اللون يهبط من السماء ، وينقض على الدجاجة الأم



وَيَحْمِلُهَا بَعِيدًا .

وَبَعْدَ بَرْهَةٍ خَرَجَ مِنْ تَحْتِ الشَّجِيرَةِ ، وَقَدْ تَعَلَّمَ دَرْسًا مِنْ نَوَامِيسِ
الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ وَقَوَانِينِهَا ؛ فَالْكَائِنَاتُ الْحَيَّةُ الْكَبِيرَةُ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ
مَصْدَرُ أَدَى ، كَمَا أَنَّهَا تَقْتُلُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الَّتِي تَصْغُرُهَا : فَكُلُّ
كَائِنٍ حَيٍّ إِمَّا آكِلٌ وَإِمَّا مَأْكُولٌ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الدَّرْسُ الَّذِي
تَعَلَّمَهُ مِنْ مَدْرَسَةِ الْغَابَةِ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ يَخْرُجُ لِلصَّيْدِ مَعَ أُمِّهِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَطِيعُ أَنْ
تَقْتَنِصَ الْفَرَائِسَ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَخَافُ مُطْلَقًا . وَمَرَّةً أُخْرَى حَلَّتْ فِتْرَةٌ
مِنَ الْجُوعِ ، وَلَمْ تَعُدِ الذُّبَّةُ تَنَامُ فِي الْكَهْفِ ، بَلْ كَانَتْ تُمَضِّي
أَكْثَرَ وَقْتِهَا بَحْثًا عَنِ الْغِذَاءِ ، فَكَانَتْ تَجِدُ الْقَلِيلَ مِنْهُ وَأَحْيَانًا لَا تَجِدُ
شَيْئًا . وَأَضْحَى النَّابُ الْأَبْيَضُ يَحْصُلُ عَلَى مَا يُمَكِّنُ الْحُصُولَ عَلَيْهِ
مِنَ الْغِذَاءِ لِنَفْسِهِ ، وَبَاتَ يَدْرُسُ أَسَالِيبَ حَيَاةِ الْحَيَوَانَاتِ الصَّغِيرَةِ
كَالْفِرَّانِ وَالطُّيُورِ .

وَأَتَتْ إِلَيْهِ أُمُّهُ بِوَشَقٍ رَضِيعٍ ، فَالْتَهُمَهُ وَحْدَهُ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنَامَ .
وَالْوَشَقُ قِطٌّ مَتَوَحِّشٌ ضَخَمٌ . وَكَانَتْ أُمُّهُ قَدْ التَّهَمَتْ جَمِيعَ
الْأَوْشَاقِ الْأُخْرَى الرُّضِيعَةِ .

وَأَبْقَظَتْهُ مَعْرَكَةٌ شَرِسَةٌ كَانَتْ تَدُورُ بَيْنَ أُمِّهِ وَوَشَقَةٍ ضَخْمَةٍ ،

فَهَبَ النَّابُ الْأَبْيَضُ وَذَهَبَ إِلَى جَانِبِ أُمِّهِ فَدَفَعَتْهُ إِلَى الْخَلْفِ ،
وَلَكِنَّهُ قَفَزَ إِلَى الْأَمَامِ ، وَقَبَضَ بِأَسْنَانِهِ عَلَى سَاقِ الْوَشَقَةِ الْخَلْفِيَّةِ .
وَأَدَّى ثِقْلُ جِسْمِهِ إِلَى شُلِّ حَرَكَةِ الْوَشَقَةِ مِمَّا سَاعَدَ أُمُّهُ كَثِيرًا .
وَقَدْ سَدَدَتْ الْوَشَقَةُ ضَرْبَةً لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ أَصَابَتْهُ فِي كَتِفِهِ ، وَلَكِنْ
عِنْدَ نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ لَا يَزَالُ مُمْسِكًا بِرِجْلِ
الْوَشَقَةِ الَّتِي صَرَعَتْهَا أُمُّهُ . غَيْرَ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنَ الْمَعْرَكَةِ ضَعِيفَةً
وَمُثَخِّنَةً بِالْجِرَاحِ . وَلَمْ تُغَادِرِ الْأُمُّ الْكَهْفَ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ إِلَّا لِتَشْرَبَ ،
وَكَانَتْ حَرَكَاتُهَا بَطِيئَةً ، وَلَكِنَّهَا بَعْدَ أَنْ التَّهَمَتْ الْوَشَقَةَ كُلَّهَا ،
اسْتَرَدَّتْ قُوَّتَهَا بِحَيْثُ عَادَتْ إِلَى الصَّيْدِ مَرَّةً أُخْرَى . أَمَّا النَّابُ
الْأَبْيَضُ فَكَانَتْ كَتِفُهُ تَوَلِّمُهُ لِلْغَايَةِ ، وَكَانَ يَمْشِي بِصُعُوبَةٍ بِالْغَةِ
لِفِتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ . وَلَكِنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ ثِقَةً بِنَفْسِهِ ، وَأَكْثَرَ شَرَاسَةً
وَحُطُورَةً ، وَاسْتِعْدَادًا لِلْقِتَالِ عَنْ ذِي قَبْلُ .

وَعِنْدَمَا خَرَجَ لِلصَّيْدِ مَعَ أُمِّهِ تَأَكَّدَ لَدَيْهِ مَا سَبَقَ أَنْ تَعَلَّمَهُ ؛ فَهُوَ
فِي الْغَابَةِ إِمَّا قَاتِلٌ أَوْ مَقْتُولٌ وَإِمَّا آكِلٌ أَوْ مَأْكُولٌ .

وَعِنْدَمَا النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَدَفَّقُ حَيَوِيَّةً وَسَعَادَةً ، كَمَا كَانَ شَدِيدَ
الاعْتِدَادِ بِنَفْسِهِ . وَكَانَ كُلَّمَا امْتَلَأَ جَوْفُهُ بِاللَّحْمِ تَمَدَّدَ فِي كَسَلٍ
تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الدَّافِقَةِ .

وَهَبَّ أَحَدُ الْهُنُودِ وَاقِفًا ، وَمَشَى نَحْوَهُ ، فَكَشَّرَ الْجُرُودَ عَنْ
أَنْيَابِهِ ، فَضَحِكَ الرَّجُلُ قَائِلًا : « انْظُرُوا الْأَنْيَابَ الْبَيْضَاءَ ! »

وَضَحِكَ الْهُنُودُ الْآخَرُونَ وَقَالُوا : « هَاتِهِ . » وَبَيْنَمَا أَخَذَتْ يَدُ
الرَّجُلِ تَقْتَرِبُ مِنْهُ ، كَانَتْ تَدُورُ مَعْرَكَةً فِي رَأْسِ الْجُرُودِ : هَلْ يَدْعُ
الرَّجُلُ يَلْمِسُهُ ، أَمْ عَلَيْهِ أَنْ يُقَاتِلَهُ ؟ وَمَا كَادَتْ يَدُ الرَّجُلِ تَلْمِسُهُ
حَتَّى عَضَّهَا . وَفِي اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ تَلْقَى ضَرْبَةً عَلَى جَانِبِ رَأْسِهِ
جَعَلَتْهُ يَسْقُطُ عَلَى جَنْبِهِ ، فَرَاخَ يَعْوِي مُتَأَلِّمًا . وَعَلَا ضَحِكُ الْهُنُودِ
الْخَمْسَةِ بِمَا فِيهِمُ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ قَدْ عَضَّهُ ، وَمِنْ حَوْلِهِ وَقَفَ
الرِّجَالُ يُقَهِّقُهُونَ . وَفَجْأَةً سَمِعَ صَوْتًا سَمِعَهُ الْهُنُودُ أَيْضًا ، فَتَوَقَّفَ
عَنِ الْعَوَاءِ وَانْتَظَرَ حُضُورَ أُمِّهِ - أُمِّهِ الرَّائِعَةِ الَّتِي قَاتَلَتْ وَصَرَعَتْ
كُلَّ مَخْلُوقٍ ، وَلَمْ تُحِسْ خَوْفًا قَطُّ .

فَقَزَتِ الذُّبَّةُ وَسَطَ الْجَمْعِ ، فَصَاحَ الْجُرُودُ صَيْحَةً ابْتِهَاجٍ ،
وَذَهَبَ لِيُقَابِلَهَا ، فَوَقَفَتْ أُمَامَهُ فِي مُوَاجَهَةِ الرِّجَالِ وَقَدْ انْتَصَبَ
شَعْرُهَا ، وَتَقَلَّصَتْ شَفَتَاهَا ، وَزَمَجَرَتْ فِيهِمْ فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ ،
فَصَاحَ أَحَدُهُمْ : « كَيْشِي ! » كَانَتْ صَيْحَةً دَهْشَةٍ . وَشَعَرَ الْجُرُودُ
بِتَغْيِيرٍ بَطَرًا عَلَى أُمِّهِ . وَصَاحَ الرَّجُلُ مَرَّةً أُخْرَى : « كَيْشِي ! »
فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا حَتَّى لَامَسَ جِسْمُهَا الْأَرْضَ ، وَرَفَعَتْ عَيْنَيْهَا إِلَيْهِ .
وَمَضَى الرَّجُلُ نَحْوَهَا ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهَا ، عَلَى حِينِ كَانَ
الرِّجَالُ يَتَحَدَّثُونَ بِأَصْوَاتٍ مُهْتَاجَةٍ .

الفصل الخامس النَّابُ الْأَبْيَضُ وَالْهُنُودُ

كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ سَائِرًا ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ أَمَامَهُمْ فَجْأَةً ؛ لِأَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ حَذِيرًا . وَعَبَّرَ مَكَانًا مَكْشُوفًا ، وَدَخَلَ وَسَطَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ ،
وَرَأَاهُمْ وَاشْتَمَّ رَائِحَتَهُمْ خَمْسَةَ مَخْلُوقَاتٍ حَيَّةٍ جَالِسَةٍ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى قَطُّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ قَبْلُ . لَقَدْ كَانَتْ
الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَرَى فِيهَا بَشَرًا .

لَمْ يَقْفِزِ الرِّجَالُ عِنْدَ رُؤْيَاهُ ، وَلَمْ يُكْشَرُوا عَنْ أَنْيَابِهِمْ ، وَلَمْ
يُصْدِرُوا ضَجِيجًا صَاخِبًا ، وَلَمْ يَتَحَرَّكُوا بَلْ جَلَسُوا هُنَاكَ فِي
سُكُونٍ . وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُرُودُ ؛ إِذْ كَانَ لَدَيْهِ إِحْسَاسٌ بِضَعْفِهِ وَضَالَّتِهِ .
هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ الْخَمْسَةُ كَانَتْ سَادَةً ، وَأَقْوِيَاءَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
مَقْدُورِهِ التَّغْلِبُ عَلَيْهَا . لَقَدْ كَانَ هَذَا هُوَ الشُّعُورُ الَّذِي نَمَى إِلَيْهِ
عَنْ طَرِيقِ أُمِّهِ .

قال أحد الهنود : « هذا ليس بالشئ الغريب ؛ فقد كان أبوها ذئبًا ، وكانت أمها كلبة . وذات ليلة ربط أخي أمها بشجرة في الغابة . وجاء وقت لم يكن فيه ثمة غذاء للكلاب ؛ فهربت كيشي وعاشت مع الذئاب . »

وقال آخر يدعى « القنّس الأشهب » ، وهو يضع يده على الجرو : « نعم ، وهذا نتاجها . إن كيشي هي أمه ، وأباه ذئب من الذئاب . ولأن أتيابه وأسنانه بيضاء فسوف ندعوه النّاب الأبيض ، وسيكون لي لأن كيشي كانت لأخي ، وقد مات . »

ووضع القنّس الأشهب حبلاً حول رقبة كيشي ، وربطها إلى شجرة صغيرة ، وتبعها النّاب الأبيض وركب إلى جوارها . وربت القنّس الأشهب على ظهره فسر بذلك ، وتدرج إلى جانبه ، فضغط القنّس الأشهب بأصبعه خلف أذنيه ، فكان سروره بذلك أعظم .

وبعد حين سمع النّاب الأبيض ضجة كان مصدرها الرجال والكلاب ؛ فقد كانت بقية الهنود آفلة . وهاجمت الكلاب كيشي وصغيرها ، فتصدى لها القنّس الأشهب وأبعدها بالعصا والحجارة .



وَأَخَذَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَلْعَقُ جِرَاحَهُ . إِنَّهُ لَمْ يَحْلَمْ قَطُّ بِوُجُودِ
حَيَوَانَاتٍ أُخْرَى مِثْلَ الذُّئْبِ الْأَعْوَرِ وَأُمِّهِ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى هُنَا حَيَوَانَاتٍ
كَثِيرَةً مِنَ النَّوعِ نَفْسِهِ تَهَاوِجُهُ وَتَحَاوِلُ قَتْلَهُ .

وَهَا هِيَ ذِي أُمِّهِ كِيشِي قَدْ رُبِطَتْ إِلَى طَرَفِ عَصَا ، وَلَمْ يَكُنْ
بِاسْتِطَاعَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ أَنْ يَتَّعِدَ ، بَلْ ظَلَّ قَرِيبًا مِنْهَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ أَمْسَكَ رَجُلٌ ضَعِيلٌ بِالطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْعَصَا ، وَأَخَذَ
يَسْحَبُ كِيشِي أُسِيرَةً خَلْفَهُ . وَمَضَى إِلَى الْجَدُولِ ، وَكَانَتْ هُنَاكَ
قَوَارِبُ وَمَنَاضِدُ مِنَ الْعِصِيِّ لِتَجْفِيفِ السَّمَكِ . وَرَأَى الرُّجَالُ يَرْفَعُونَ
الْعِصِيَّ الطُّوِيلَةَ ، وَيَغْطُونَهَا بِجُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَقِيمُوا خِيَامًا . وَهَكَذَا
أَقَامَ الْهِنُودُ حَوْلَهُ خِيَامًا كَانَ يَخْشَاهَا ، وَلَكِنَّهُ رَأَى النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ
يَدْخُلُونَهَا وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا دُونَ أَنْ يَنَالَهُمْ أَدَى . وَذَهَبَ إِلَى وَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَجَدَّ بِهَا ، فَأَطْلَقَتْ امْرَأَةً صَرْخَةً حَادَةً جَعَلَتْهُ يَفِرُّ عَائِدًا إِلَى
كِيشِي .

وَمَضَى النَّابُ الْأَبْيَضُ بَعْدَ ذَلِكَ بَعِيدًا عَنْ أُمِّهِ حَيْثُ كَانَتْ
مَرْبُوطَةً إِلَى إِحْدَى الْعِصِيِّ . وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ جَرَّوْ يُدْعَى « لِبَلْب » كَانَ
يَكْبُرُهُ فِي الْعُمُرِ وَالْحَجْمِ ، وَأَخَذَ كُلُّ مِنْهُمَا يَدُورُ حَوْلَ الْآخَرِ ،
وَقَبَاجَةً أَنْقَضَ لِبَلْبٌ عَلَيْهِ وَعَضَّةً ، فَأَنْدَقَعَ النَّابُ الْأَبْيَضُ نَحْوَهُ فِي
عُضْبٍ وَحْشِيٍّ . وَلَكِنْ لِبَلْبٌ الَّذِي خَاضَ عِدَّةَ مَعَارِكٍ مَعَ صِغَارِ

الْكِلَابِ عَضَّ النَّابُ الْأَبْيَضُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى أَجْبَرَهُ عَلَى الْفِرَارِ ،
وَهُوَ يَصْرُخُ مُسْتَجِيرًا بِأُمِّهِ . وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةُ الْوَحِيدَةَ بَلْ
كَانَتْ الْمَعْرَكَةُ الْأُولَى مِنْ مَعَارِكٍ كَثِيرَةٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا .

لَعِقَتْ الْأُمُّ جِرَاحَ صَغِيرِهَا ، وَحَاوَلَتْ أَنْ تُبْقِيَهُ إِلَى جَوَارِهَا ،
وَلَكِنَّهُ مَا لَبِثَ أَنْ مَضَى بَعِيدًا لِكَيْ يَرَى مَزِيدًا مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
الْغَرِيبَةِ . وَكَانَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ يَجْلِسُ مِنْهُمْ كَمَا فِي عَمَلِ شَيْءٍ
مَا ، مُسْتَعِينًا بِالْعِصِيِّ وَأَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ الْجَائِفَةِ ، عَلَى حِينِ كَانَتْ
تَحْمِلُ إِلَيْهِ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ مَزِيدًا مِنَ الْعِصِيِّ وَالْأَغْصَانِ . وَرَأَى
النَّابُ الْأَبْيَضُ شَيْئًا يُشْبِهُ سَحَابَةً تَنْبَعِثُ مِنَ الْعِصِيِّ ، وَشَيْئًا أَحْمَرَ
لَا مِثْلَ يُشْبِهُ الشَّمْسَ .

كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ النَّارِ ؛ فَاقْتَرَبَ أَكْثَرَ حَتَّى
لَامَسَ أَنْفَهُ النَّارَ وَمَسَّ اللَّهَبُ لِسَانَهُ ؛ فَارْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ يَعْوِي :
« كِي ! يِي ! » فَضَحِكَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ وَجَلَسَ النَّابُ الْأَبْيَضُ
يَصْرُخُ : « كِي ! يِي ! »

كَانَتْ التَّجَرُّبَةُ أَشَدَّ إِيْلَامًا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ عَرَفَهُ فِي حَيَاتِهِ .
وَكُلَّمَا زَادَ صَرَاحُهُ زَادَتْ ضَحِكَاتُ الْحَيَوَانَاتِ الْآدَمِيَّةِ ؛ فَهَرَبَ
لَا مِنْ لُسَعَةِ النَّيْرَانِ بَلْ مِنَ الضَّحِكَاتِ السَّاخِرَةِ .

وَعِنْدَمَا أَقْبَلَ الْمَسَاءُ كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَجْلِسُ حَزِينًا إِلَى جِوَارِ
أُمِّهِ يَحْنُ إِلَى هُدُوءِ الْجَدُولِ وَالْكَهْفِ . كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ
الْحَيَوَانَاتِ الْأَدْمِيَّةِ تَصْنَحُ وَتَعْمَلُ أَشْيَاءَ رَائِعَةً ، وَتَجْعَلُ أَشْيَاءَ
تَتَحَرَّكُ ، مِثْلَ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ الضُّخْمَةِ وَالصُّخُورِ الَّتِي لَا تَتَحَرَّكُ
عَادَةً . كَمَا أَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَشْجَارِ الْجَافَةِ حَرَارَةً سَاطِعَةً . لَقَدْ
كَانُوا صَانِعِي نِيرَانٍ .

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ . وَكَانَ لِبَلِّبُ هُوَ سَبَبُ الشَّقَاءِ الْأَكْبَرِ لِلنَّابِ
الْأَبْيَضِ ، وَكَانَ مَصْدَرُ الرُّغْبِ فِي حَيَاتِهِ . لَقَدْ جَعَلَ لِبَلِّبُ مِنَ
النَّابِ الْأَبْيَضِ عَدُوَّهُ الْخَاصَّ . وَكُلَّمَا ابْتَعَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عَنْ أُمِّهِ
ظَهَرَ لِبَلِّبُ وَظَلَّ يَتَّبِعُهُ وَهُوَ مُتَأَهِّبٌ دَوْمًا لِلْقَفْزِ عَلَيْهِ ، وَاجْبَارُهُ عَلَى
الْقِتَالِ . وَلَأنَّ لِبَلِّبُ كَانَ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنَ النَّابِ الْأَبْيَضِ فَإِنَّهُ كَانَ
يَفُوزُ عَلَيْهِ . وَلَمْ يُوَدِّ ذَلِكَ إِلَى خَوْفِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، بَلْ زَادَ مِنْ
شَرَّاسَتِهِ وَعِدَائِهِ لِلْجَمِيعِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَلْعَبُ مَعَ الْجِرَاءِ بَلْ انْطَوَى
عَلَى نَفْسِهِ ، وَكَانَ يَتَجَوَّلُ وَحِيدًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَى
غِذَائِهِ وَلِذَلِكَ صَارَ لَصًا . وَكَانَ يَخْتَبِئُ وَيُظَلُّ بَعِيدًا عَنْ لِبَلِّبُ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ خَدَعَ لِبَلِّبُ ، فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْرِيَ أَسْرَعَ مِنْهُ ،
وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَسْتَدْرِجُهُ وَرَاءَهُ ، وَجَعَلَهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ حَتَّى التَقَى كِيشِي
فَعَضَّتْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، كَمَا عَضَهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي رِجْلِهِ الْخَلْفِيَّةِ فَلَمْ

يَعُدُّ يَقْوَى عَلَى الْقِتَالِ ، وَفَرَّ هَارِبًا ، وَفِي أَثَرِهِ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَّبِعُهُ
عَنْ كَثْبٍ .

الفصل السادس النَّابُ الْأَبْيَضُ بَعِيدًا عَنْ أُمِّهِ

ذَاتَ يَوْمٍ أَطْلَقَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ مَرَّاحَ كَيْشِي ، فَأَنْطَلَقَتْ بِصُحْبَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ إِلَى أَطْرَافِ الْغَابَةِ بِجَوَارِ الْمُخِيمِ . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَرْعَبُ فِي الرَّحِيلِ ؛ إِذْ كَانَ الْجَدُولُ وَالْغَابَةُ الْهَادِئَتَيْنِ تُنَادِيهِ ، وَلَكِنْ كَيْشِي لَمْ تَتَحَرَّكَ . كَانَ شَيْءٌ مَا بِالْخَارِجِ يُنَادِيهِ ، يُنَادِي الذُّبَّ الْمُفْتَرَسَ فِي دَاخِلِهِ . وَسَمِعَتْ أُمُّهُ النِّدَاءَ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهَا سَمِعَتْ كَذَلِكَ نِدَاءَ النَّارِ وَالْإِنْسَانِ ، فَاسْتَدَارَتْ وَعَادَتْ يَبْطِئُ إِلَى الْمُخِيمِ .

كَانَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ مَدِينًا بِبَعْضِ الْمَالِ لِهِنْدِيٍّ آخَرَ يُدْعَى « النَّسُورُ الثَّلَاثَةُ » ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَدِّدَ دِينَهُ . وَلَكَمَا كَانَ النَّسُورُ الثَّلَاثَةُ مُيَمَّمًا شَطْرَ الْبُحَيْرَةِ ، فَقَدْ أَعْطَاهُ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ قِطْعَةً مِنْ نَسِيجٍ أَحْمَرَ وَعِشْرِينَ طَلْقَةً بُنْدُقِيَّةً وَجِلْدَ دَبٍّ ، كَمَا تَنَازَلَ لَهُ عَنْ كَيْشِي .

وَعِنْدَمَا رَأَى النَّابُ الْأَبْيَضُ أُمَّهُ تُسَاقُ إِلَى قَارِبِ النَّسُورِ الثَّلَاثَةِ ، حَاوَلَ أَنْ يَتَّبِعَهَا ، وَلَكِنْ الرَّجُلُ الْهِنْدِيُّ دَفَعَهُ إِلَى الشَّطِّ . وَتَحَرَّكَ الْقَارِبُ مُبْتَعِدًا ، فَقَفَزَ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي الْمَاءِ وَأَخَذَ يَسْبَحُ خَلْفَهُ . وَنَادَى عَلَيْهِ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ وَلَكِنَّهُ أَصَمَّ أذْنِيهِ ، فَاسْتَشَاطَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ غَضَبًا ، وَأَخَذَ قَارِبًا آخَرَ وَتَبِعَهُ حَتَّى دَنَا مِنْهُ فَأَمْسَكَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ وَانْتَشَلَهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِشِدَّةٍ ، ثُمَّ أَلْقَى بِهِ فِي قَاعِ الْقَارِبِ ، فَعَضَّهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي قَدَمِهِ ، فَضْرِبَهُ مَرَّةً أُخْرَى ضَرْبًا مُبْرِحًا . عِنْدَئِذٍ عَرَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ ، كَمَا تَعَلَّمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَلَّا يَعْصِيَ أَبَدًا الْإِنْسَانَ الَّذِي هُوَ سَيِّدُهُ .

وَكَانَ لِبَلِّبٍ يُشَاهِدُ الْقَارِبَ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْيَابِسَةِ ، فَأَنْدَفَعَ نَحْوَ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، الَّذِي كَانَ مِنَ الضَّعْفِ وَالْخَوَرِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الدِّفَاعَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَكِنْ قَدَّمَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ أَنْطَلَقَتْ وَرَفَعَتْ لِبَلِّبٍ فِي الْهَوَاءِ بِقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ أَسْقَطَتْهُ عَلَى بَعْدِ ثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ ؛ فَتَعَلَّمَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ سَيِّدَهُ سَيَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْهُ ، إِذَا فَعَلَّيَهُ أَنْ يُطِيعَ الْقُنْدُسَ الْأَشْهَبَ ، وَفِي الْمَقَابِلِ عَلَى الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ حِمَايَتَهُ . وَرَوِيدًا رَوِيدًا بَدَأَ يُجِبُّ حَيَاةَ الْمُخِيمِ ، وَيَنْسَى أُمَّهُ وَحَيَاتَهُ الْحُرَّةَ الطَّلِيْقَةَ الَّتِي كَانَ يَحْيَاهَا .

* * *

وَلَكِنَّ لِّلْبَلِّ وَاَصْلَ هُجُومَهُ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِنَّ النَّابَ الْاَبْيَضَ صَارَ
اَكْثَرَ شَرَاسَةً ، وَصَارَ عَدُوًّا لِلْجَمِيعِ - لِلْكِلَابِ وَالنَّاسِ . وَإِذَا
اخْتَفَتْ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ ، كَانُوا عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ النَّابَ الْاَبْيَضَ هُوَ
السَّارِقُ ، وَإِذَا نَشِبَ شِجَارٌ فِي مَكَانٍ ، كَانَ النَّابُ الْاَبْيَضُ هُوَ
الْمُتَسَبِّبُ . كَانَ مُثِيرًا لِلشَّعْبِ وَكَانَ لَصًّا .

وَانْضَمَّتْ كُلُّ الْجِرَاءِ إِلَى لِبَلِّ ؛ فَقَدْ كَانَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّ فِي
النَّابِ الْاَبْيَضِ شَيْئًا مَا مُخْتَلِفًا - شَيْئًا مُفْتَرِسًا يَشْبِهُ الذِّئْبَ ؛ وَلِهَذَا
تَكَانَفَتْ جَمِيعًا لِمُهَاجَمَتِهِ .

وَتَعَلَّمَ النَّابُ الْاَبْيَضُ كَيْفَ يُعْنِي بِنَفْسِهِ فِي صِرَاعِهِ مَعَ
مَجْمُوعَةِ الْكِلَابِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِأَرْجُلِهِ ثَابِتَةً عَلَى الْأَرْضِ .
وَصَارَ كَالْقِطْعَةِ يَقَعُ دَائِمًا عَلَى أَرْجُلِهِ . وَكَانَتْ الْكِلَابُ عِنْدَمَا
تَتَقَاتَلُ تَزْمَجِرُ ، ثُمَّ تَتَقَدَّمُ بِبُطْءٍ إِلَى الْأَمَامِ ، وَتَقْلُصُ شِفَاهَهَا ،
وَتَكْشُرُ عَنْ أَنْيَابِهَا ، وَيَنْتَصِبُ شَعْرُهَا .

تَعَلَّمَ النَّابُ الْاَبْيَضُ أَنْ يَتَجَاهَلَ كُلَّ ذَلِكَ . تَعَلَّمَ قِيَمَةَ الْمُبَاعَةِ ؛
فَكَانَ يَهَاجِمُ فَجْأَةً وَفِي سُكُونٍ ؛ فَيَوْقِعُ الْخَصْمَ عَلَى الْأَرْضِ ،
وَيَحَاوِلُ أَنْ يَغْرَسَ أَسْنَانَهُ فِي الرِّقْبَةِ اللَّدْنَةِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ لَقِيَ أَحَدَ أَعْدَائِهِ عِنْدَ طَرَفِ الْغَابَةِ فَطَرَحَهُ أَرْضًا ،

وَأَسَالَ دَمَ رَقَبَتِهِ حَتَّى مَاتَ ؛ فَاجْتَنَحَ الْمُخَيَّمُ غَضَبَ شَدِيدٍ ، وَارْتَفَعَتْ
أَصْوَاتُ غَاضِبَةٍ خَارِجَ خِيَمَةِ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ . وَلَكِنَّ الْقُنْدُسَ لَمْ
يَفْتَحْ بَابَ الْخِيَمَةِ .

أَصْبَحَ النَّابُ الْاَبْيَضُ مَكْرُوهًا مِنَ النَّاسِ وَالْكِلَابِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ
لِحُظَّةِ أَمَانٍ وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ كَانَتْ أَنْيَابُ الْكِلَابِ جَمِيعًا مُشْرَعَةً نَحْوَهُ ،
وَكَذَلِكَ كَانَتْ قَبْضَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ .

لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ بَلْ كَانَ قَوِيَّ الْجِسْمِ ، سَرِيعَ التَّفْكِيرِ ،
سَرِيعَ الْحَرَكَةِ ، وَكَانَ مُتَفَوِّقًا عَلَى الْكِلَابِ الْأُخْرَى فِي السَّرْعَةِ
وَالْمَهَارَةِ ، كَمَا كَانَ أَكْثَرَهَا شَرَاسَةً وَقُوَّةً .

أُمِّهِ ، وَخَوْفِهِ مِمَّا سَوْفَ يُوَاجِهُهُ وَيُقَاسِيهِ مِنْ أخطارِ . كَانَتْ الْمَرَّةَ
الْأُولَى الَّتِي يُطْلَقُ فِيهَا الدُّثْبُ بِدَاخِلِهِ صَرَخَتَهُ نَحْوَ الْقَمَرِ كَمَا
تَفْعَلُ الدُّثَابُ ، وَكَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ أُمُّهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ .

وَعِنْدَمَا بَزَعَ النَّهَارُ كَانَ يَشْعُرُ بِالْوَحْدَةِ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ .
كَانَ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ ، فَمَضَى نَحْوَ النَّهْرِ ، وَأَخَذَ يَعْدُو
عَلَى شَاطِئِهِ طَوَالَ النَّهَارِ ، وَلَمْ يَشْعُرْ جِسْمُهُ الْفَوْلَازِيَّ مُطْلَقًا
بِالتَّعَبِ . وَسَبَحَ عَبْرَ الْجَدَاوِلِ الَّتِي تَصُبُّ فِي النَّهْرِ ، وَأَنْطَلَقَ يَجْرِي
عَلَى الْجَلِيدِ الَّذِي أَخَذَ يَتَكَوَّنُ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ . وَأَقْبَلَ الْهُنُودُ فِي
قَوَارِبِهِمْ ، وَكَانَ يُحَاوِلُ أَنْ يَعَثَرَ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَتَرَكُونَ النَّهْرَ
عِنْدَهُ وَيَنْزِلُونَ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفَكَّرْ فِي ضِيفَةِ النَّهْرِ الْآخَرَى . لَمْ
يَفَكَّرْ فِي احْتِمَالِ نَزُولِهِمْ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ النَّهْرِ .

وظَلَّ يَجْرِي طَوَالَ اللَّيْلِ . وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَ قَدْ
أَمْضَى ثَلَاثِينَ سَاعَةً ، وَهُوَ يَجْرِي ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَنَاوَلَ طَعَامًا مُنْذُ
أَرْبَعِينَ سَاعَةً . وَبَدَأَ جِسْمُهُ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ غَيْرَ أَنَّهُ ظَلَّ يَجْرِي بِطُءٍ ،
وَكَانَتْ قَدَمَاهُ تَرْسُمَانِ عَلَامَاتٍ مَشُوبَةً بِالدَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ . ثُمَّ بَدَأَ
الْجَلِيدُ يَتَسَاقَطُ مِمَّا جَعَلَ السَّيْرَ أَكْثَرَ وَعُورَةً .

كَانَ هَدَفُ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ أَنْ يَخِيْمَ عِنْدَ ضِيفَةِ النَّهْرِ الْبَعِيدَةِ ،
وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلَامُ مُبَاشَرَةً هَبَطَ أَيْلٌ إِلَى النَّهْرِ لِيَشْرَبَ ؛

الفصل السابع النَّابُ الْأَبْيَضُ وَحِيدًا

كَادَ الصَّيْفُ يَنْتَهِي ، وَظَلَّ الضَّجِيجُ فِي الْمُخِيْمِ عِدَّةَ أَيَّامٍ ؛ فَقَدْ
كَانَ الْهُنُودُ يَقُوضُونَ الْخِيَامَ اسْتِعْدَادًا لِلرَّحِيلِ . وَكَانَ النَّابُ
الْأَبْيَضُ يُشَاهِدُ وَيَفْهَمُ ، فَقَرَّرَ التَّخَلُّفَ عَنْهُمْ . وَخَرَجَ إِلَى الْغَابَةِ ،
وَاخْتَبَأَ خَلْفَ شَجِيرَةٍ . وَكَانَ يَسْمَعُ صَوْتَ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ يُنَادِيهِ ،
وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِ صَوْتُ زَوْجَتِهِ وَأَبْنِهِ ، ثُمَّ تَوَقَّفَتِ الْأَصْوَاتُ .

وَحَلَّ الظَّلَامُ فَأَلْفَى نَفْسَهُ وَحِيدًا ، وَبَدَأَ الْخَوْفُ يَدِبُّ فِي أَوْصَالِهِ
وَأَحْسَّ بِالْبُرْدِ لَافْتِقَادِهِ رُكْنَ الْخِيْمَةِ الدَّافِئِ ، كَمَا افْتَقَدَ النَّارَ .
وَكَانَ جَائِعًا وَبِحَاجَةٍ إِلَى الرُّجَالِ وَصُحْبَتِهِمْ ؛ فَاتَّجَهَ نَحْوَ الْمَكَانِ
الَّذِي أَقِيمَ فِيهِ الْمُخِيْمُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا ، فَذَهَبَ إِلَى حَيْثُ
نُصِبَتِ خِيْمَةُ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، وَهُنَاكَ جَلَسَ شَامِخًا بِأَنْفِهِ نَحْوَ
الْقَمَرِ ، وَأَطْلَقَ صَرَخَةً طَوِيلَةً عَمِيقَةً تَنْبِئُ عَنْ وَحْدَتِهِ وَحُزْنِهِ لِفَقْدِ

فَأَطْلَقَ الْقُنْدُسُ النَّارَ عَلَيْهِ . وَلِذَلِكَ اضْطُرَّ إِلَى إِقَامَةِ الْمَخِيمِ عَلَى
هَذَا الْجَانِبِ مِنَ النَّهْرِ . وَكَانَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَمُرَّ النَّابُ الْأَبْيَضُ
بِذَلِكَ الْمَكَانِ ثُمَّ يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ إِمَّا لِيَمُوتَ أَوْ لِيَعْتَرِ عَلَى الطَّرِيقِ
الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى قَبِيلَتِهِ الْمُفْتَرَسَةِ ، وَيَصِيرَ وَاحِدًا مِنْهَا - ذُبَابًا حَتَّى نِهَائِهِ
حَيَاتِهِ .

وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَكَانَ الْجَلِيدُ يَتَسَاقَطُ أَسْرَعَ مِنْ ذِي قَبْلُ ، عَلَى
حِينَ كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَنُ أَنِينًا خَافِتًا ، وَهُوَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ
بِصُعُوبَةٍ . ثُمَّ وَجَدَ أَثَارًا عَلَى الْجَلِيدِ ، فَارْتَدَّ عَنْ ضِفَّةِ النَّهْرِ وَدَخَلَ
وَسَطَ الْأَشْجَارِ . عِنْدَئِذٍ وَصَلَتْ أَصْوَاتُ الْمَخِيمِ إِلَى أُذُنَيْهِ ، وَرَأَى
ضَوْءَ النَّارِ الْبَاهِرِ . وَكَانَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ جَالِسًا يَأْكُلُ .

تَوَقَّعَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يَلْقَى جَزَاءَهُ ضَرْبًا ؛ فَتَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ
وَلَكِنَّهُ وَاصَلَ إِلَى الْأَمَامِ مَرَّةً أُخْرَى . وَدَخَلَ بِيْطَةً دَائِرَةً ضَوْءِ النَّارِ
خَائِفًا ، يَزْحَفُ بِجِسْمِهِ عَلَى الْأَرْضِ . وَرَأَى الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ يَقْبِلُ
نَحْوَهُ بِيْطَةً شَدِيدَ يَزْدَادٍ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ . وَأَخِيرًا رَقَدَ عِنْدَ قَدَمَيْ
سَيِّدِهِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ فَرَقًا ، وَيَنْتَظِرُ أَنْ يَحُلَّ بِهِ عِقَابُ سَيِّدِهِ . وَعِنْدَمَا رَأَى
يَدَهُ تَتَحَرَّكُ نَحْوَهُ انْكَمَشَ بَعِيدًا كَيْ يَتَفَادَى الضَّرْبَةَ الْمُرْتَقِبَةَ ، وَلَكِنْ
الْيَدَ لَمْ تَمْسَهُ بِسُوءٍ . وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ لِيَرَى الْقُنْدُسَ الْأَشْهَبَ يَقْدِمُ لَهُ
قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ . فَأَخَذَ يَتَشَمَّمُهَا بِرَفْقٍ ثُمَّ التَّهَمَّهَا . وَأَمَرَ الْقُنْدُسُ



الْأَشْهَبُ لَهُ بِمَزِيدٍ مِنَ اللَّحْمِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى حِمَايَتَهُ مِنَ الْكِلَابِ
الْأُخْرَى أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِ لَهُ .

وَرَقَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عِنْدَ قَدَمَيَّ سَيِّدِهِ يَنْظُرُ إِلَى النَّارِ الَّتِي تُشِيعُ
الدَّفْءَ فِي جِسْمِهِ . وَرَاحَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ ، وَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّهُ فِي الْغَدِ
لَنْ يَكُونَ هَائِمًا وَحِيدًا ، بَلْ سَيَكُونُ فِي مُخِيمِ الْحَيَوَانَاتِ السَّادَةِ
الْإِلَهَةِ الَّتِي أَسْلَمَ لَهَا قِيَادَهُ ، وَأَصْبَحَ الْآنَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا .

الفصل الثامن

النَّابُ الْأَبْيَضُ يَقْبِلُ عَلَى الْعَمَلِ

فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ شَهْرِ دَيْسَمْبَرِ (كانون الأول) ، قَامَ الْقُنْدُسُ
الْأَشْهَبُ بِرَحْلَةٍ أَعْلَى النَّهْرِ ، وَبِصُحْبَتِهِ زَوْجَتُهُ وَابْنُهُ « مَيْتْسَاه » .
وَكَانَتْ تَجُرُّ زَحَافَتَهُ الْكَبِيرَةَ كِلَابَ مَدْرِيَّةٍ . أَمَّا زَحَافَةُ ابْنِهِ مَيْتْسَاهِ
الصَّغِيرَةِ ، فَكَانَتْ تَجُرُّهَا جِرَاءَ سَبْعَةٍ . وَقَدْ حَاوَلَتْ الْجِرَاءُ مُهَاجِمَةَ
الْجَرِّ الَّذِي فِي الْمَقْدَمَةِ ، لِذَلِكَ كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَزِيدَ مِنْ سُرْعَتِهَا فِي
جَرِّ الْمُرْكَبَةِ ، وَكَانَ عَلَى الْكَلْبِ الَّذِي هُوَ جَمَّ أَنْ يَزِيدَ مِنْ سُرْعَتِهِ فِي
الْعَدْوِ لِكَيْ يَهْرَبَ مِنْهَا . وَهَكَذَا كَانَتْ الزَّحَافَةُ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ
أَكْثَرَ . وَلَا حَظَّ مَيْتْسَاهُ أَنْ لَيْلِبَ هُوَ أَكْبَرُ عَدُوٍّ لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ ،
فَجَعَلَهُ الْقَائِدَ . وَقَدْ يَبْدُو ذَلِكَ لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى تَكْرِيمًا لَهُ ، وَلَكِنْ
الْحَقِيقَةُ غَيْرُ ذَلِكَ ، إِذْ اكْتَشَفَ لَيْلِبُ أَنَّ الْجِرَاءَ الْأُخْرَى تَكْرَهُهُ
وَتَهَاجِمُهُ ، فَعَدَا بِأَقْصَى مَا فِي وَسْعِهِ حَتَّى إِنَّ الْجِرَاءَ الْأُخْرَى لَمْ

تَعْدُ تَرَى سِوَى ذِيهِ وَقَائِمَتِيهِ الْخَلْفَتَيْنِ كَمَا لَوْ كَانَ يَجْرِي مُبْتَعِدًا .

وَمَا كَادَتْ الزُّحَافَةُ تَتَحَرَّكُ حَتَّى تَعْقِبَ الْجِرَاءُ لَيْلِبَ ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ طِيلَةَ النَّهَارِ ، فَإِذَا أَرَادَ لَيْلِبُ أَنْ يَتَصَدَّى لِمَتَعَقِبِيهِ ضَرْبَهُ مَيْتَسَاهُ . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَسْتَمْتِعُ بِالْعَمَلِ ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِجِدِّ وَيَطِيعُ مَيْتَسَاهُ . كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُصْبِحَ الْقَائِدَ ، لَكِنَّهُ فَضَّلَ الْوَحْدَةَ ؛ فَاكْتَسَبَ احْتِرَامَ الْجِرَاءِ الْأُخْرَى ، الَّتِي تَرَكَتْهُ وَشَانَهُ .

وَوَصَلُوا إِلَى قَرْيَةٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَحِيرَةِ الْكَبِيرَةِ . وَهُنَا تَعَلَّمَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يُعَدِّلَ قَلِيلًا فِي الْقَانُونِ الَّذِي تَعَلَّمَهُ مِنَ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، الَّذِي يَنْصُ عَلَى الْأَ يَعْضُ مُطْلَقًا أَيَّ آدَمِيٍّ ؛ إِذْ كَانَ أَحَدُ صَبِيَّةِ الْقَرْيَةِ يَقْطَعُ لَحْمًا مُجَمَّدًا مُسْتَعِينًا بِبِلْطَةٍ ، فَتَنَاثَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ قِطْعٌ صَغِيرَةٌ مِنْهَا . وَعِنْدَمَا أَخَذَ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي التِّهَامِهَا تَرَكَ الصَّبِيَّ الْبِلْطَةَ ، وَأَمْسَكَ بِعَصَا غَلِيظَةٍ ، وَطَارَدَهُ وَحَاصِرَهُ دَاخِلَ رُكْنٍ يَقَعُ بَيْنَ خِيَمَتَيْنِ وَرَبْوَةٍ عَالِيَةٍ . عِنْدَئِذٍ اشْتَدَّ غَضَبُ النَّابِ الْأَبْيَضِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً ، كَمَا أَنَّ قَانُونَ الْمُخِيمِ يَنْصُ عَلَى أَنَّ مَخْلَقَاتِ الطَّعَامِ مِنْ حَقِّ أَيِّ كَلْبٍ يَعَثُّ عَلَيْهَا . وَرَعِمَ هَذَا فَإِنَّ الصَّبِيَّ يُرِيدُ أَنْ يَضْرِبَهُ ؛ فَقَفَزَ عَلَى الصَّبِيِّ ، وَأَلْقَاهُ أَرْضًا ، وَعَضَّ الْيَدَ الَّتِي كَانَتْ تُمْسِكُ بِالْعَصَا .

أَدْرَكَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّهُ قَدْ خَرَقَ قَانُونَ الْإِنْسَانِ ؛ فَقَدْ عَضَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، فَقَرَّ إِلَى الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، وَرَقَدَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَأَقْبَلَتْ

أُسْرَةُ الصَّبِيِّ تَطْلُبُ إِنْزَالَ الْعِقَابِ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقُنْدُسَ الْأَشْهَبَ وَمَيْتَسَاهُ دَافَعَا عَنْهُ ؛ فَعَرَفَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ خَطَأً . كَمَا عَرَفَ أَنَّ الدُّنْيَا تَضُمُّ سَيِّدِيهِ وَسَادَةَ آخَرِينَ ، وَأَنَّ سَيِّدِيهِ قَدْ يَكُونَانِ ظَالِمِينَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَهُمَا ، وَلَكِنْ لَيْسَ قَرَضًا عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَمَّلَ عِنْدَمَا يَكُونُ السَّادَةُ الْآخَرُونَ هُمُ الظَّالِمِينَ ، فَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ نَفْسِهِ .

فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ كَانَ مَيْتَسَاهُ يَجْمَعُ حَطَبًا لِلنَّارِ ، فَقَابَلَ الصَّبِيَّ الَّذِي عَضَّهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، وَكَانَ مَعَهُ صَبِيَّةٌ آخَرُونَ ، فَهَاجَمَ الصَّبِيَّةُ مَيْتَسَاهُ . وَلَمَّا رَأَى النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ سَيِّدَهُ قَدْ لَحِقَهُ أَدَّى ؛ انْدَفَعَ نَحْوَ الصَّبِيَّةِ فِي غَضَبٍ عَارِمٍ ، وَفِي دَقَائِقِ مَعْدُودَاتٍ كَانَ الصَّبِيَّةُ يُطْلِقُونَ سِقَانَهُمْ لِلرَّيْحِ ، كَمَا أَنَّ قَطْرَاتِ الدَّمِ كَانَتْ تَقْطُرُ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْجَلِيدِ . وَلَمَّا قَصَّ مَيْتَسَاهُ هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي الْمُخِيمِ ، أُعْطِيَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ مَزِيدًا مِنَ اللَّحْمِ لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ . وَهَكَذَا عَرَفَ أَنَّهُ أَحْسَنَ صُنْعًا .

وَبَعْدَ أَنْ كَانَ يَتَوَلَّى حِمَايَةَ سَيِّدِهِ الْأَكْبَرِ أَصْبَحَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَوَلَّى حِمَايَةَ ابْنِهِ أَيْضًا ، وَيَتَوَلَّى حِرَاسَةَ كُلِّ مَا يَخْصُهُ . وَبِمُرُورِ الشُّهُورِ صَارَ الْإِتِّفَاقُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالْإِنْسَانِ أَكْثَرَ قُوَّةً وَرُسُوخًا ، فَقَدْ تَنَازَلَ الْكَلْبُ عَنْ حُرِّيَّتِهِ لِسَيِّدِهِ ، وَفِي الْمُقَابِلِ كَانَ يَحْصُلُ عَلَى

الغذاء والدَّفءِ ، والصُّحبة . فالسَّيِّدُ يَحْمِي الكَلْبَ ، والكَلْبُ
يَحْرُسُ كُلَّ ما يَخُصُّ السَّيِّدَ ، وَيَحْمِي جِسْمَهُ ، وَيَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ
وَيُطِيعُهُ .

لَمْ يَكُنِ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَعْرِفُ ما هُوَ الْحَبُّ ، وَلَكِنْ الْعَلَاقَةُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى الاحْتِرَامِ ، وَقَدْ نَسِيَ أُمُّهُ
كَيْشِي كَمَا نَسِيَ حَبَّهُ لِلْحُرِّيَّةِ . كَانَ يَعْرِفُ فَقَطْ وَاجِبَهُ نَحْوَ سَيِّدِهِ .

الفصل التاسع النَّابُ الْأَبْيَضُ يَبْلُغُ عَامَهُ الْأَوَّلَ

حِينَ أَتَمَّ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ رَحْلَتَهُ الطَّوِيلَةَ كَانَ فَصْلُ الرَّبِيعِ عَلَى
الْأَبْوَابِ . وَفِي شَهْرِ إِبْرَيْلِ (نَيْسَانَ) كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ قَدْ بَلَغَ
عَامَهُ الْأَوَّلَ ، وَكَانَ يَجْذِبُ الرَّحَافَةَ إِلَى مَوْطِنِهِ بِالْقَرْيَةِ . كَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ اكْتِمَالِ نُمُوهِ شَأْوًا بَعِيدًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ مِنْ جَرَاءِ الْقَرْيَةِ الَّتِي
أَتَمَّتْ عَامَهَا الْأَوَّلَ حَجْمًا بَعْدَ لَيْلٍ . كَانَ أَبُوهُ الذَّنْبُ الْأَعْوَرُ كَبِيرًا
وَقَوِيًّا . وَكَذَلِكَ كَانَتْ أُمُّهُ كَيْشِي . وَكَانَ هُوَ مِثْلَهُمَا كَبِيرًا وَقَوِيًّا .
كَانَ فِي حَجْمِ الْكِلَابِ الْمُكْتَمِلَةِ النُّمُو تَقْرِيْبًا ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَقِيلَ
الْجِسْمِ مِثْلَهَا . كَانَ رَمَادِيَّ اللَّوْنِ ، وَكَانَ يُشَبُّهُ الذَّنْبُ تَمَامًا .
وَكَانَتْ أُمُّهُ بَيْنَ الذَّنْبَةِ وَالْكَلْبَةِ . وَلَمْ يَكُنْ فِي مَظْهَرِهِ آيَةُ عِلَامَةٍ
تُشِيرُ بِأَنَّهُ كَلْبٌ ، وَلَكِنْ فِي دَاخِلِهِ الْكَثِيرُ مِنْ خَصَائِصِ الْكَلْبِ .

رَاحَ يَتَجَوَّلُ فِي الْقَرْيَةِ مُتَذَكِّرًا ، فَرَأَى كِلَابًا أُخْرَى شَبَّتَ عَنْ

الطَّوْقِ مِثْلَهُ ، وَكِلَابًا قَدْ اكْتَمَلَ نُمُوها ، وَلَمْ تَعُدْ كَبِيرَةً وَمُخِيفَةً ،
كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَخْشَاهَا كَمَا كَانَ فِي الْمَاضِي . كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَتَجَوَّلَ بَيْنَهَا دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِالْخَوْفِ ، وَكَانَ مَسْرُورًا بِذَلِكَ .

وَأَلْفَى بِاسِيكَ أَكْبَرَ كَلْبٍ فِي الْمَخِيْمِ قَدْ صَارَ رَمَادِي اللَّوْنِ مَعَ
تَقَدُّمِهِ فِي السَّنِ ، وَكَانَ فِيْمَا مَضَى إِذَا كَثُرَ عَنْ أَنْبَايِهِ أَسْرَعَ النَّابُ
الْأَبْيَضُ بِالْفِرَارِ . فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَرَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ كَيْفَ كَانَ
صَغِيرًا وَتَافِهًا . وَمِنْ بِاسِيكَ عَرَفَ الْآنَ كَمْ تَغَيَّرَ هُوَ أَيْضًا ، لَقَدْ
أَصْبَحَ بِاسِيكَ أَكْثَرَ ضَعْفًا مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي السَّنِ ، عَلَى حِينِ أَنْ
النَّابُ الْأَبْيَضُ كَانَ يَزِدُّ قُوَّةً مَعَ بُلُوغِهِ سِنُ الشَّبَابِ .

تَمَّ تَوْزِيعُ لَحْمِ أَيْلٍ ذُبِحَ حَدِيثًا ، وَنَالَ النَّابُ الْأَبْيَضُ قِطْعَةً مِنْ
السَّاقِ فِيهَا لَحْمٌ كَثِيرٌ ، فَأَخَذَ يَلْتَهُمُهَا خَلْفَ إِحْدَى الشُّجَيْرَاتِ
بَعِيدًا عَنْ أَنْظَارِ الْكِلَابِ الْأُخْرَى ، فَأَنْدَقَعَ بِاسِيكَ نَحْوَهُ ، فَعَضَّتْ
النَّابُ الْأَبْيَضُ مَرَّتَيْنِ ، وَقَفَزَ بَعِيدًا عَنْهُ . وَأَصَابَتْ بِاسِيكَ الدَّهْشَةُ
لِهَذَا الرَّدِّ السَّرِيعِ الْجَرِيءِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي بِلَاهَةٍ وَقِطْعَةٍ
اللَّحْمِ الْحَمْرَاءِ مُلْقَاةً بَيْنَهُمَا عَلَى الْأَرْضِ . لَوْ حَدَثَ ذَلِكَ فِيْمَا
مَضَى ، لَقَفَزَ بِاسِيكَ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ فِي غَضَبٍ وَحَشِيٍّ ، لَكِنَّهُ
الْآنَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ . نَظَرَ فِي غَضَبٍ إِلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ عَبْرَ
سَاقِ الْأَيْلِ ، بَيْنَمَا أَحْسَسَ الْأَخِيرُ بَعْضَ خَوْفِهِ الْقَدِيمِ ، فَحَاوَلَ

التَّفَكُّيرَ فِي الْهَرَبِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَجَلِ .

وَهُنَا ارْتَكَبَ بِاسِيكَ خَطَأً ، فَلَوْ أَنَّهُ وَقَفَ مَكَانَهُ يَنْظُرُ فِي غَضَبٍ



فَقَطَّ ، لَفَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ تَارِكًا لَهُ قِطْعَةَ اللَّحْمِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ ،
فَقَدْ ظَنَّ أَنَّهُ كَسَبَ الْمَعْرَكَةَ ، فَخَطَا إِلَى الْأَمَامِ نَحْوَ اللَّحْمِ ، وَمَالَ
بِرَأْسِهِ لِيَشْمُهُ . أَمَّا النَّابُ الْأَبْيَضُ فَقَدْ كَانَ الْغَضَبُ يَكْسُوهُ .

وَلَوْ اكْتَفَى بِاسِيكَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ لَفَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ مِنْ أَمَامِهِ .
غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ جَائِعًا ، وَكَانَتْ رَائِحَةُ اللَّحْمِ الطَّازِجِ تَدْعُوهُ فَقَضَمَ
قِطْعَةً مِنْهَا . وَلَمْ يَتَحَمَّلِ النَّابُ الْأَبْيَضُ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَبْقَى
سَاكِئًا بَيْنَمَا يَتَعَدَّى كَلْبٌ آخَرُ عَلَى مَا يَخْصُهُ مِنَ اللَّحْمِ ؛ فَانْقَضَ
عَلَيْهِ وَنَهَشَ أُذُنَهُ ، ثُمَّ طَرَحَهُ أَرْضًا ، وَعَضَّهُ فِي رَقَبَتِهِ ، كَمَا غَرَسَ
أَسْنَانَهُ مَرَّتَيْنِ فِي كَتِفِهِ . وَحَاوَلَ بِاسِيكَ أَنْ يَنَالَ مِنَ النَّابِ الْأَبْيَضِ ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ لِفَرْطِ ضَعْفِهِ وَأَعْيَائِهِ ، وَقَدْ أَصَابَ أَنْفَهُ وَهُوَ
يَتَرَجَّعُ عَنِ اللَّحْمِ .

وَوَقَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ فَوْقَ اللَّحْمِ عَلَى حِينٍ وَقَفَ بِاسِيكَ
بَعِيدًا ، وَلَمْ يَجْزُؤْ عَلَى قِتَالِ هَذَا النَّابِ الْأَبْيَضِ الْفَتِي الَّذِي يَتَحَرَّكُ
كَالسَّهْمِ ، فَلَقَدْ أَدْرَكَ أَنْ تَقَدَّمَهُ فِي السَّنِّ قَدْ أَصَابَهُ بِالْوَهْنِ .

وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ تَظَاهَرَ بِالْهُدُوءِ مُدْعِيًا أَنَّ الْكَلْبَ الْفَتِيَّ وَاللَّحْمَ لَا
يَسْتَحِقَّانِ اهْتِمَامَهُ ، فَأَادَارَ ظَهْرَهُ ، وَابْتَعَدَ فِي بَطْنِهِ . وَعِنْدَمَا صَارَ
بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ تَوَقَّفَ لِيَلْعَقَ جِرَاحَهُ .

كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ مَرَّهًا بِإِنْتِصَارِهِ ، وَكَانَ يَشْعُرُ بِثِقَةٍ أَكْبَرَ

بِنَفْسِهِ ، فَكَانَ يَمْشِي وَسَطَ الْكِلَابِ الْكِبَارِ دُونَ خَوْفٍ . وَلَمْ يَكُنْ
يَخْرُجُ عَنْ طَرِيقِهِ لِلْبَحْثِ عَنِ الْمَتَاعِبِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مِنْ
حَقِّهِ أَنْ يَذْهَبَ حَيْثُ يَشَاءُ ، فَلَنْ يَسْمَحَ لِأَحَدٍ أَنْ يُعَامِلَهُ كَجَرِّ
صَغِيرٍ . أَمَّا صِغَارُ الْكِلَابِ الْأُخْرَى الَّتِي عَمِلَتْ مَعَهُ فِي جَرِّ
الزُّحَافَةِ ، فَكَانَتْ لَا تَزَالُ تُعَامَلُ كَجَرَاءِ صَغِيرَةٍ ، فَكَانَتْ تُفْسَحُ
الطَّرِيقَ لِكِبَارِ الْكِلَابِ ، وَتَتَخَلَّى لَهَا عَنْ نَصِيحِهَا مِنَ اللَّحْمِ . وَكَانَ
النَّابُ الْأَبْيَضُ يُعَامَلُ مُعَامَلَةَ النَّدَى مِنْ كِبَارِ الْكِلَابِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ
يَتَجَوَّلُ وَحْدَهُ دُونَ صَدِيقٍ أَوْ رَفِيقٍ .

وَلَمْ يَكُنْ يَلْتَفِتُ يَمَنَةً أَوْ يَسْرَةً . وَظَلَّ وَحْدَهُ مُنْعَزِلًا ، لَا يَأْلَفُ وَلَا
يُؤْلَفُ . وَقَدْ تَقَبَّلَتْهُ الْكِلَابُ عَلَى عِلَاتِهِ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَفْهَمَهُ . أَنَّهَا
لَمْ تَلْبَثْ أَنْ عَرَفَتْ أَنَّ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَتْرَكَهُ وَشَأْنَهُ ، حَتَّى يَتْرَكَهَا
هُوَ أَيْضًا وَشَأْنَهَا .

وَفِي الصَّيْفِ رَافَقَ النَّابُ الْأَبْيَضُ بَعْضَ الرِّجَالِ لَصِيدِ الْأَيَّامِ ،
فَوَصَلَ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى ، وَذَهَبَ لِيَنْظُرَ إِلَى إِحْدَى الْخِيَامِ الْجَدِيدَةِ
الَّتِي نُصِبَتْ عِنْدَ طَرَفِ الْقَرْيَةِ . وَهُنَاكَ لَقِيَ أُمَّهُ كِيشِي ، فَتَوَقَّفَ
وَأَخَذَ يَنْظُرَ إِلَيْهَا فَتَدَكَّرَهَا بَعْدَ لَأَيٍّ ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَدَكَّرْهُ بَلْ زَمَّتْ
شَفَتَيْهَا وَزَمَجَرَتْ . وَعِنْدَئِذٍ عَادَتْ إِلَيْهِ ذِكْرِيَاتُ الطُّفُولَةِ الَّتِي كَانَ
فِيهَا جَرَّوًا صَغِيرًا ، وَكَانَتْ هِيَ مَحْوَرُ دُنْيَاهُ ، فَقَفَزَ نَحْوَهَا فَقَابَلَتْهُ

بَعْضُهُ أَسَالَتْ الدَّمَاءَ مِنْ وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَفْهَمْ النَّابُ الْأَبْيَضُ الْأَمْرَ ،
وَقَرَّ هَارِبًا . وَلَمْ يَكُنِ الْخَطَأَ مِنْ جَانِبِ أُمِّهِ ، فَلَا أُمُّ الذُّبَّةَ لَا تَذْكُرُ
صِغَارَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عَامٍ عَلَى وَلَادَتِهِمْ ، لِذَلِكَ لَمْ تَذْكُرِ النَّابَ
الْأَبْيَضَ ؛ فَقَدْ كَانَ مُجَرَّدَ حَيَوَانٍ غَرِيبٍ بِالنِّسْبَةِ لَهَا . وَكَانَتْ الْأُمُّ
مَشْغُولَةً بِمَجْمُوعَةِ جَدِيدَةٍ مِنَ الْجِرَاءِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَحْمِيَهَا .
وَأَقْبَلَ أَحَدُ هَذِهِ الْجِرَاءِ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ ، فَأَخَذَ يَتَشَمَّمُهُ ،
فَانْدَفَعَتْ كِيشِي إِلَيْهِ وَعَضَّتْهُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَارْتَدَّ بَعِيدًا . لَقَدْ تَلَاشَتْ
الذِّكْرِيَّاتُ الْقَدِيمَةُ وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى كِيشِي ، وَهِيَ تَلْعَقُ الْجُرَّو ، ثُمَّ
تَتَوَقَّفُ لِتَرْمِجَ فِي وَجْهِهِ ، وَهُنَا لَمْ تَعُدْ تَعْنِي شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .

* * *

كَانَ لَا يَزَالُ وَاقِفًا هُنَاكَ عِنْدَمَا هَاجَمَتْهُ كِيشِي لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ .
وَقَدْ رَضِيَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ تَطْرُدَهُ أُمُّهُ ، فَقَانُونُ الذُّنَابِ يُحْرَمُ
التَّعَرُّضَ لِلْإِنَاثِ .

وَمَرَّتِ الشُّهُورُ ، وَأَصْبَحَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَكْبَرَ جِسْمًا ،
كَمَا تَغْيَرُ شَكْلُهُ . فَلَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْمَخِيْمَ مُطْلَقًا وَظَلَّ مَعَ الذُّنَابِ فِي
الْغَابَةِ لَصَارَ الْآنَ ذِيْبًا حَقِيقِيًّا . وَلَكِنْ حَيَاتُهُ وَسَطَ الرُّجَالِ جَعَلَتْ
مِنْهُ كَلْبًا - كَلْبًا يُشَبِّهُ الذُّبَّ . كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ كَلْبًا لَا ذِيْبًا ،
وَلَكِنَّهُ كَانَ مُخْتَلِفًا عَنْ سَائِرِ الْكِلَابِ ؛ كَانَ يَعِيشُ مُنْعَزِلًا ، وَلَمْ

يَكُنْ لَطِيفًا مَعَ الْكِلَابِ الْأُخْرَى ، وَكَانَتْ هِيَ مِنْ جَانِبِهَا تَرْهَبُهُ .

كَانَ سَيِّدُهُ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ يَعْرِفُ عَنْهُ هَذَا الْاِخْتِلَافَ ، وَيَقْدِرُهُ
كَثِيرًا لِهَذَا السَّبَبِ ، وَلَكِنْ كَانَتْ فِي النَّابِ الْأَبْيَضِ نَقْطَةُ ضَعْفٍ ؛
إِذْ لَمْ يَكُنْ يَتَحَمَّلُ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ أَحَدٌ ، فَالْسُّخْرِيَّةُ مِنْهُ تَجْعَلُهُ شَيْطَانًا
فَيَسْتَدُ جُنُونَهُ ، وَيَتَحَوَّلُ إِلَى رُعْبٍ قَاتِلٍ لِأَيِّ كَلْبٍ يُصَادِفُهُ .

كَانَ الْعَامُ الثَّالِثُ مِنْ عُمُرِ النَّابِ الْأَبْيَضِ عَامًا عَصِيْبًا - كَانَ
عَامَ جُوعٍ . فِي الصَّيْفِ انْعَدَمَتِ الْأَسْمَاكُ ، وَفِي الشِّتَاءِ كَانَ ثَمَّةُ
قَلِيلٍ مِنَ الْأَيَّائِلِ ، حَتَّى الْأَرَانِبُ اخْتَفَتْ . وَبَدَأَتِ الذُّنَابُ تَأْكُلُ
بَعْضَهَا بَعْضًا ، حَيْثُ الْحَيَاةُ لِلْأَقْوَى فَقَطْ . وَفِي الْمَخِيْمِ أَكَلَتْ
الْكِلَابُ الْقَوِيَّةُ الْكِلَابَ الضَّعِيفَةَ ، وَأَكَلَ الرُّجَالُ كِلَابَهُمْ . وَقَدْ
هَرَبَ إِلَى الْغَابَةِ بَعْضُ مِنْهَا ، وَهُنَاكَ كَانَتْ تَهْلِكُ جُوعًا أَوْ تَفْتَرِسُهَا
الذُّنَابُ .

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَرَجَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى الْغَابَةِ ؛ إِذْ كَانَ مُهَيِّأً
لِلْحَيَاةِ هُنَاكَ أَكْثَرَ مِنَ الْكِلَابِ الْأُخْرَى . وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مَا
تَلَقَّاهُ مِنْ تَدْرِيبٍ ، وَهُوَ جُرَّو صَغِيرٌ ، فَكَانَ يُمَسِّكُ بِالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ
الصَّغِيرَةِ وَيَلْتَهُمُهَا .

وَذَاتَ مَرَّةٍ لَقِيَ النَّابُ الْأَبْيَضُ ذِيْبًا صَغِيرًا أَنَّهُكَهُ الْجُوعُ

وَأَهْرَلَهُ ، فَقَتَلَهُ وَالتَّهَمَهُ ، وَأَعْطَاهُ ذَلِكَ دَفْعَةً لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ . وَفِي هَذِهِ
الْأَثْنَاءِ هَاجَمَتْهُ الذُّنُوبُ الْجَائِعَةُ ، وَلَأنَّهَا كَانَتْ جَائِعَةً وَمُنْهَكَةً فَقَدْ
حَاوَلَتْ الإِمْسَاكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَجْرِي أَسْرَعَ مِمَّا تَسْتَطِيعُ هِيَ ،
بَلْ إِنَّهُ اسْتَدَارَ وَجَرَى فِي دَائِرَةٍ وَقَتَلَ وَاحِدًا مِنْهَا .

وَأَخِيرًا أَقْبَلَ الصَّيْفُ وَمَعَهُ آخِرُ أَيَّامِ الْجُوعِ . وَدَخَلَ لِيَلْبِ الْغَابَةَ
غَيْرَ أَنَّهُ وَجَدَ الْحَيَاةَ هُنَاكَ قَاسِيَةً لِلْغَايَةِ ، وَظَلَّ بِشَقِّ الْأَنْفُسِ عَلَى قَيْدِ
الْحَيَاةِ . وَفَجْأَةً صَادَفَهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ عِنْدَمَا دَارَ حَوْلَ زَاوِيَةِ إِحْدَى
الصُّخُورِ ، فَتَوَقَّفَ كُلُّ مِنْهُمَا وَنَظَرَ إِلَى الْآخِرِ . كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ
قَوِيًّا ، وَفِي تَمَامِ صِحَّتِهِ . كَانَ قَنَاصًا رَائِعًا ، كَمَا كَانَ يَلْتَهُمُ كُلُّ
مَا يُرِيدُ . وَعِنْدَمَا حَاوَلَ لِيَلْبِ أَنْ يَفِرَّ رَاجِعًا ، ضَرَبَهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ
وَطَرَحَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ غَرَسَ أَنْيَابَهُ فِي رَقَبَتِهِ . لَقَدْ كَانَ قِتَالًا ضَارِيًا
حَتَّى الْمَوْتِ ، ثُمَّ مَضَى النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي طَرِيقِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ هَذَا الْحَادِثِ بَلَغَ طَرَفَ الْغَابَةِ حَيْثُ مِسَاحَةٌ
مَكْشُوفَةٌ مِنَ الْأَرْضِ بِالقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ . لَقَدْ جَاءَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ
مِنْ قَبْلُ ، وَلَكِنْ يَكُنْ بِهِ آنَذَاكَ أَيُّ شَيْءٍ . وَلَكِنْ الْآنَ بِهِ قَرْيَةٌ تَزُخَرُ
بِالْمَنَازِلِ وَالْأَصْوَاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا - لَقَدْ كَانَتْ هِيَ الْقَرْيَةُ الْقَدِيمَةَ
بَعْدَ أَنْ انْتَقَلَتْ إِلَى مَوْقِعٍ جَدِيدٍ . وَالْآنَ لَا جُوعَ فِيهَا كَمَا كَانَ
الْحَالُ عِنْدَمَا تَرَكَهَا ؛ فَقَدْ سَمِعَ أَصْوَاتًا سَعِيدَةً ، وَكَانَتْ رَائِحَةُ

السَّمَكِ تَنْتَشِرُ ، فَخَرَجَ مِنَ الْغَابَةِ وَمَضَى فَوْرًا نَحْوَ خِيَمَةِ الْقُنْدُسِ
الْأَشْهَبِ ، فَهَشَّتْ لَهُ زَوْجَتُهُ فِي ابْتِهَاجٍ ، وَقَدِّمَتْ إِلَيْهِ سَمَكَةً
مَلَاذِجَةً . ثُمَّ رَقَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عَلَى الْأَرْضِ فِي انْتِظَارِ عَوْدَةِ الْقُنْدُسِ
الْأَشْهَبِ .

الكلاب تُقاسي في الليل بعض ما قاساه أثناء النهار . أما الآن فقد
أتحدت ضده الكلاب الأخرى التي تجري خلفه جارة الزحافة .

وكان ثمة سبب آخر لكرهيتها له ؛ فقد كانت تشعر بأنه
مختلف عنها بشكل ما ؛ كانت هي كلاباً لم تعد لفترة طويلة
تذكر البرية - أرض الذئاب ، ولكنها كانت تشعر بأن في داخله
شيئاً وحشياً ، مخيفاً ، خطيراً . وكانت حريصة على أن تكون كلُّها
معاً . لأنه كان يستطيع أن يقتلها جميعاً منفردة واحداً واحداً ،
ولكن الفرصة لم تسح له مطلقاً . وكانت الكلاب تتعارك فيما
بينها ، فإذا ظهر الناب الأبيض نسيبت عراكها وتكاثفت
لمواجهته . وقد حاولت أن تقتله غير مرة ، ولكنه كان أسرع منها
وأكثر ، حتى إن سيده القُدس الأشهب قال عنه يوماً : « إنه لم
يكن له قط نظير ! »

* * *

وعندما بلغ عمره خمس سنوات تقريباً اصططحبه القُدس
الأشهب في رحلة طويلة ، فصادف في طريقه كثيراً من كلاب
القرى المجاورة وتقابل معها ، وكان دائم الكسب في المعارك .
وفي الصيف بلغا قرية « فورث يوكن » ، وكان بها كثير من
الهنود ، وتسودها الضجة والحركة ، وكان ذلك في عام ١٨٩٨ ،

الفصل العاشر عدو الجميع

عندما جعل الناب الأبيض قائداً للكلاب التي تجر الزحافة ،
صار موضع كراهية الكلاب الأخرى ؛ لأنه كان يُمنح مزيداً من
اللحم ، ولأنه كان ينظر نحوهم من المقدمة وكأنه يجري بعيداً
عنها . وكان الناب الأبيض يُبادل الكلاب الأخرى الكراهية ؛ لأنه
كان مضطراً إلى العدو بعيداً عن تلك الكلاب التي هزمتها في
معارك عديدة طوال السنوات الثلاث الماضية .

وعندما صدر الأمر بالتحرك ، ففزت جميع الكلاب نحوه ،
وهي تصرخ بوحشية ، ولم يستطع هو أن يستدير ويواجهها ؛ لأن
قائد العربة كان يضربه ويدفعه إلى الأمام ، ولذلك كان مضطراً
إلى العدو بعيداً ، وكان قلبه مفعماً بالكراهية - كراهية جميع
الكلاب الأخرى . وكان يمشي في المخيم وحيداً ، جاعلاً بقية

وَكَانَ آلافُ النَّاسِ يَمْرُونَ خِلَالَ الْقَرْيَةِ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى « كَلُونْدَايِك » ، حَيْثُ كَانَ الذَّهَبُ قَدْ اكْتَشِفَ . وَهُنَاكَ تَوَقَّفَ الْقَنْدُسُ الْأَشْهَبُ ، لِيَسِيعَ جُلُودَ الْحَيَوَانَاتِ وَبَعْضَ الْأَحْذِيَةِ الْجِلْدِيَّةِ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى . وَكَانَتِ التَّجَارَةُ هُنَاكَ شَدِيدَةً الْازْدِهَارِ .

وَفِي فُورْت يَوْكُن رَأَى النَّابُ الْأَبْيَضُ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - رِجَالًا بِيضَ الْبَشَرَةِ ، وَكَانَ السَّادَةُ الْبِيضُ يَبْدُونَ أَكْثَرَ قُوَّةً مِمَّنْ رَأَاهُمْ مِنْ قَبْلُ . وَكَانَتْ بُيُوتُهُمْ أَكْبَرَ حَجْمًا مِنْ خِيَامِ الْهِنُودِ ، كَمَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ الْقِيَامَ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، أَفْضَلَ مِمَّا يَفْعَلُ الْقَنْدُسُ الْأَشْهَبُ وَأَشْبَاهُهُ .

فِي بَادِي الْأَمْرِ كَانَ خَائِفًا مِنْهُمْ بَعْضُ الشَّيْءِ ، وَأَخَذَ يُرَاقِبُهُمْ مِنْ مَكَانٍ آمِنٍ ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ ، فَشَاهَدَهُ الرِّجَالُ الْبِيضُ ، وَأَخَذُوا يُشِيرُونَ نَحْوَهُ . وَكَانُوا كُلُّمَا اقْتَرَبُوا مِنْهُ أَكْثَرَ كَشَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عَنْ أَنْيَابِهِ وَزَمَجَرَ . وَلَمْ يَجْرُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ عَلَى وَضْعِ يَدِهِ عَلَيْهِ . وَخَيْرًا فَعَلُوا .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَلِمَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ قَلَّةً مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْبِيضِ - يَبْلُغُونَ عَشْرَةً أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ - يَقْطُنُونَ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، وَكُلُّ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ يَأْتِي إِلَى الشَّاطِئِ بَيْتَ ضَحْمٍ مُتَحَرِّكٍ « بَاخِرَةٌ » وَيَقِفُ هُنَاكَ عِدَّةَ سَاعَاتٍ . وَيَخْرُجُ مِنْهُ رِجَالُ بِيضٍ ثُمَّ

يَرْحَلُونَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى . كَانَتْ هُنَاكَ أَعْدَادٌ ضَخْمَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْبِيضِ ، وَقَدْ رَأَى مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا رَأَى مِنَ الْهِنُودِ طَوَالَ حَيَاتِهِ .

رُبَّمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الْبِيضُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْبَوَاحِرِ أَقْوِيَاءَ ، وَلَكِنْ كِلَابُهُمْ كَذَلِكَ ، كَانَتْ مُخْتَلِفَةً الْأَشْكَالِ وَالْأَحْجَامِ ، وَكَانَتْ رَخْوَةً قَلِيلَةً الْحِيلَةِ ؛ تُصْدِرُ كَثِيرًا مِنَ الضَّوَضَاءِ ، وَلَكِنَّهَا لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْقِتَالِ . وَقَدْ انْدَفَعَتْ مَرَّةً نَحْوَ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَلَكِنَّهُ قَفَزَ جَانِبًا وَخَبِطَ بِكَفِّهِ وَاحِدًا مِنْهَا ، وَعَصَفَهُ فِي رَقَبَتِهِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ ، بَلْ قَامَتِ الْكِلَابُ الْهِنْدِيَّةُ بِتَمَرِيقِهِ إِرْبًا إِرْبًا . إِنَّ النَّابَ الْأَبْيَضَ لَمْ يَكُنْ لَيَقْتُلُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ الرِّجَالُ الْبِيضَ يَغْضَبُونَ إِذَا مَا قُتِلَتْ كِلَابُهُمْ . وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ تَدَخَّلَ الرِّجَالُ الْبِيضُ بِالْهَرَاوَاتِ وَأَنهَالُوا ضَرْبًا عَلَى الْكِلَابِ الْهِنْدِيَّةِ . أَمَّا النَّابُ الْأَبْيَضُ فَقَدْ مَضَى طَلِيقًا ، وَوَقَفَ عَلَى مَسَافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ يُشَاهِدُ مَا يَحْدُثُ . لَقَدْ كَانَ جِدًّا حَكِيمًا .

حَدَّثَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، فَتَعَلَّمَتِ الْكِلَابُ الْهِنْدِيَّةُ أَنَّهُ عِنْدَ مُهَاجِمَةِ كَلْبَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، يَسُوقُ الرِّجَالُ الْبِيضُ كِلَابَهُمْ جَمِيعًا إِلَى دَاخِلِ السَّفِينَةِ ، ثُمَّ يُهَاجِمُونَ الْكِلَابَ الْهِنْدِيَّةَ . وَفِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ أَخَذَ رَجُلٌ أَبْيَضٌ بِنَدَقِيَّةٍ وَأَطْلَقَهَا عَلَى سِتَّةِ كِلَابٍ هِنْدِيَّةٍ

فَقَتَلَهَا جَمِيعًا . وَقَدْ اسْتَمْتَعَ النَّابُ الْأَبْيَضُ بِكُلِّ مَا حَدَثَ ، وَلَكِنَّهُ
كَانَ حَرِيصًا عَلَى الْأُصْبِيهِ أَذَى . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ ،
فَقَدْ كَانَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ مِنْهُمْ كَمَا فِي التُّجَارَةِ وَجَمَعَ الْمَالِ .
وَلِهَذَا كَانَ يَنْتَظِرُ النَّابُ الْأَبْيَضُ السُّفْنَ مَعَ جَمْعٍ مِنَ الْكِلَابِ
الْهِنْدِيَّةِ عَلَى ضِيقَةِ النَّهْرِ . لَمْ يَكُنْ يُخَالِطُ الْكِلَابَ الْأُخْرَى بَلْ
كَانَ يُهَاجِمُ الْكَلْبَ الْغَرِيبَ ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ لَهَا لِكَيْ تَجْهَزَ عَلَيْهِ .

وَعِنْدَمَا كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ جَرَّوًا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعِيسَةً بِسَبَبِ
لُبْلُبِ وَالْجِرَاءِ الْأُخْرَى ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَكَانَ قَدْ شَبَّ كَأَيِّ كَلْبٍ
آخَرَ ، يُحِبُّ الْكِلَابَ الْأُخْرَى وَلَا يَكْرَهُهَا . وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِ
الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ آيَةٌ شَفَقَةٍ أَوْ حُبٍّ لَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَكْثَرَ شَفَقَةً
وَأَوْفَرَ حُبًّا . وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، فَصَارَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ -
مُشَاكِسًا وَعَدُوًّا لِسَائِرِ الْكِلَابِ الْأُخْرَى .

الفصل الحادي عشر السيد المجنون

كَانَ يَقْطُنُ فِي فُورْتِ يُوْكُنْ عَدَدَ قَلِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ الْبَيْضِ ،
وَيَقِيمُونَ بِهَا مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ ، وَكَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَوْلَئِكَ
الْغُرَبَاءِ . وَكَانَ يَسُرُّهُمْ مُشَاهَدَةُ النَّابِ الْأَبْيَضِ وَالْكِلَابِ الْهِنْدِيَّةِ ،
وَهِيَ تُهَاجِمُ كِلَابَ السُّفَنِ الْبُخَارِيَّةِ . فَعِنْدَمَا تَصِلُ إِحْدَى السُّفَنِ
الْبُخَارِيَّةِ كَانُوا يَهْرَعُونَ إِلَى ضِيقَةِ النَّهْرِ لِمُشَاهَدَةِ هَذِهِ التَّسْلِيَةِ .
وَقَدْ لَاحَظُوا مَهَارَةَ النَّابِ الْأَبْيَضِ فِي بَدْءِ الْمَعْرَكَةِ ، وَنَآيَةَ بِنَفْسِهِ عَنِ
الْمِتَاعِبِ . وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَرُوقُ لَهُ ذَلِكَ بَوَجهٍ خَاصٍّ . كَانَ يَأْتِي
عَدُوًّا عِنْدَ سَمَاعِهِ أَوَّلَ صَوْتٍ يَصْدُرُ عَنِ السُّفِينَةِ ، وَكَانَ مُغْرَمًا
بِمُشَاهَدَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَقْتَنِيَهُ لِنَفْسِهِ . وَكَانَ الْآخَرُونَ
يُطْلِقُونَ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ اسْمَ « بِيُوتِي » - بِيُوتِي سَمِيثٌ ، وَلَكِنَّهُ
لَمْ يَكُنْ جَمِيلًا ، كَمَا يَعْنِي اسْمُهُ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ ، بَلْ قَبِيحٌ لِلْغَايَةِ .

لَقَدْ كَانَ ذَا رَأْسٍ صَغِيرٍ عَلَى جَسَدٍ نَحِيلٍ . وَلَهُ عَيْنَانِ كَبِيرَتَانِ مُتَبَاعِدَتَانِ فِي وَجْهِهِ كَبِيرٍ لِلْغَايَةِ . وَكَانَ الْجُزْءُ السُّفْلِيُّ مِنْ فِكِّهِ كَبِيرًا جَدًّا ، عَلَى حِينِ كَانَتْ أَسْنَانُهُ السُّفْلِيَّةُ الْكَبِيرَةُ تَبَرَّزَتْ إِلَى الْأَمَامِ ، فَكَانَ يَبْدُو كَمُحَارِبٍ شَرَسٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، بَلْ كَانَ ضَعِيفًا وَرَعِيدًا . وَكَانَ يَتَوَلَّى الطَّهْيَ لِلرِّجَالِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ شَرِيرٌ ، وَرَغِمَ ذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا يَسِيئُونَ مُعَامَلَتَهُ . وَكَانُوا يَخَافُونَهُ إِلَى حَدٍّ مَا ؛ فَهُوَ أَحْيَانًا يَغْضَبُ فَجْأَةً ، فَيَخْشَوْنَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مِنْهُ طَلْقَةٌ فِي الظَّهْرِ ، أَوْ يَدُسَّ لَهُمُ السُّمُّ فِي الطَّعَامِ .

كَانَ بِيُوتِي سَمِيثٌ مُعْجَبًا بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ وَيَرْغَبُ فِي امْتِلَاكِهِ ؛ فَحَاوَلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ عَنْ أَنْيَابِهِ مُتَبَعِدًا عَنْهُ . كَانَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ شَرِيرٌ فَكَّرَهُ .

جَاءَ بِيُوتِي سَمِيثٌ إِلَى مُحَيِّمِ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، وَسَمِعَ النَّابَ الْأَبْيَضُ وَقَعَ أَقْدَامِهِ ، فَعَرَفَ صَاحِبَهَا . وَنَهَضَ بِسُرْعَةٍ وَمَضَى فِي هُدُوءٍ إِلَى طَرَفِ الْخِيْمَةِ . وَكَانَ يَإْمَكَانِهِ أَنْ يَرَى الرَّجُلَ وَالْقُنْدُسَ الْأَشْهَبَ وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ مَعًا . وَأَتْنَاءَ ذَلِكَ حَدَّثَ أَنْ أَشَارَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَرَمَجَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، وَضَحِكَ الرَّجُلُ ، فَابْتَعَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عَنْهُ وَاخْتَبَأَ فِي الْغَايَةِ .

* * *

رَفَضَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ أَنْ يَبِيعَ النَّابَ الْأَبْيَضَ ، فَقَدْ أَصْبَحَ غَنِيًّا مِنْ تِجَارَتِهِ وَلَا يَحْتَاجُ شَيْئًا آخَرَ ، كَمَا أَنَّ النَّابَ الْأَبْيَضَ كَانَ أَفْضَلَ كَلْبٍ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ بَيْنَ الْكِلَابِ فِي طُولِ الْبِلَادِ وَعَرْضِهَا . وَلَكِنْ بِيُوتِي سَمِيثٌ كَانَ يَعْرِفُ طِبَاعَ الْهُنُودِ ، فَكَانَ يَأْتِي إِلَى مُحَيِّمِ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ وَتَحْتَ مِعْطَفِهِ دَائِمًا زُجَاجَةٌ سَوْدَاءُ . وَكَانَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ يُرِيدُ الْمَزِيدَ وَالْمَزِيدَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ الْقَوِيِّ ، وَعَلَى اسْتِعْدَادِ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ لِيَحْصَلَ مِنْهُ عَلَى الْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ . وَكَانَ الْمَالُ الَّذِي يَكْسِبُهُ مِنَ التَّجَارَةِ يَنْفَدُ بِسُرْعَةٍ ، وَفِي النِّهَايَةِ ذَهَبَ الْمَالُ ، وَذَهَبَ كُلُّ مَا لَدَيْهِ ، كَمَا ذَهَبَ عَقْلُهُ وَفِطْنَتُهُ ، وَبَقِيَ عَظْمُهُ فَقَطْ . ثُمَّ بَدَأَ بِيُوتِي سَمِيثٌ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى عَنْ بَيْعِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ يَعْرِضْ مَا لَا بَلْ زُجَاجَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ .

وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ ، عِنْدَمَا رَفَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ لِنِيَامٍ ، جَاءَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ وَوَضَعَ حَبْلًا حَوْلَ رَقَبَتِهِ . وَأَقْبَلَ بِيُوتِي سَمِيثٌ يَحْمِلُ هِرَاوَةً ثَقِيلَةً ، ثُمَّ نَاولَ الْقُنْدُسَ الْأَشْهَبَ طَرَفَ الْحَبْلِ لِيُيُوتِي ، وَبَدَأَ بِيُوتِي فِي الْإِبْتِعَادِ . فَأَلْقَى النَّابُ الْأَبْيَضُ بِنَفْسِهِ عَلَى بِيُوتِي ، وَلَكِنْ بِيُوتِي لَمْ يَقْفُزْ بَعِيدًا ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَضَرَبَهُ بِالْهِرَاوَةِ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى الْأَرْضِ . وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ . وَأَخِيرًا تَبِعَهُ النَّابُ

الْأَبْيَضُ فِي حَزْنٍ وَهُوَ يَزْمَجِرُ . وَقَدْ هَرَبَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَرَجَعَ إِلَى
الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرُدُّهُ . لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ الْقُنْدُسَ
الْأَشْهَبَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ وَفِيًّا لَهُ .

وَقَدْ رُبَطَ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي سِلْسِلَةٍ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ أَنْ يُخَلِّصَ
نَفْسَهُ مِنْهَا . وَرَحَلَ الْقُنْدُسُ الْأَشْهَبُ مِنْ قُورْتِ يَوْكُنْ ، وَبَقِيَ
النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي حَوْزَةِ سَيِّدٍ نَصَفٍ مَجْنُونٍ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ
ذُو طَبِيعَةٍ بَهِيمِيَّةٍ . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يُدْرِكُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ كَانَ
يَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ السَّيِّدُ الْجَدِيدُ الَّذِي يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ
يَخْدُمَهُ وَيَطِيعَ أَوَامِرَهُ .

الفصل الثاني عشر شَيْطَانٌ أَكْثَرُ مِنْهُ كَلْبًا

تَحْتَ إشرافِ السَّيِّدِ الْمَجْنُونِ ، عَدَا النَّابُ الْأَبْيَضُ شَيْطَانًا مُجَسَّدًا
، وَقَدْ ظَلَّ مُقَيَّدًا بِسِلْسِلَةٍ فِي فِنَاءٍ صَغِيرٍ خَلْفَ الْقَلْعَةِ . وَكَانَ بِيُوتِي
سَمِثُ يَعْمَلُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُ أَكْثَرَ وَحْشِيَّةً ، كَمَا اكْتَشَفَ مَدَى
كِرَاهِيَّتِهِ لِأَنْ يَسْخَرَ مِنْهُ أَحَدٌ . وَرَعْمَ ذَلِكَ كَانَ يَحْتَالُ عَلَيْهِ بِبَعْضِ
الْخُدَعِ السَّخِيفَةِ ، ثُمَّ يُشِيرُ إِلَيْهِ وَيَسْتَغْرِقُ فِي الضَّحْكِ ؛ فَيُصْبِحُ
النَّابُ الْأَبْيَضُ حِينئِذٍ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّدِهِ جُنُونًا . كَانَ يَكْرَهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛
الْكِلَابَ وَالنَّاسَ وَكُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ . وَكَانَ لِبِيُوتِي سَمِثُ هَدَفٌ مِنْ
وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ تَجَمَّعَ عَدَدٌ مِنَ الرُّجَالِ حَوْلَ الْفِنَاءِ ، وَأَقْبَلَ بِيُوتِي
سَمِثُ يَحْمِلُ هِرَاوَةً فِي يَدِهِ ، ثُمَّ نَزَعَ السِّلْسِلَةَ مِنَ النَّابِ الْأَبْيَضِ ،
وَخَرَجَ بِسُرْعَةٍ . وَرَاحَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَدُورُ فِي أَرْجَاءِ الْفِنَاءِ مُحَاوِلًا
النَّيْلَ مِنَ الرُّجَالِ الَّذِينَ بِالْخَارِجِ . كَانَ طَوْلُهُ يَبْلُغُ مِثْرًا وَنِصْفَ مِثْرٍ ،

وَأَرْتَفَاعُ ثَلَاثَةِ أَرْبَاعِ الْمِثْرِ . كَانَ أَثْقَلُ مِنْ أَيْ ذَنْبٍ .

وَفُتِحَ بَابُ الْفِنَاءِ ، وَدُفِعَ بِأَحَدِ الْكِلَابِ إِلَى الدَّخِيلِ - كَانَ أَكْبَرَ كَلْبٍ يَرَاهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، وَكَانَ مِنْ نَوْعٍ يُطْلَقُ عَلَيْهِ الدَّرَّاسُ ، وَهُوَ مِنْ كِلَابِ الْحِرَاسَةِ الضَّخْمَةِ الْقَوِيَّةِ . وَلَمْ يَخَفِ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، بَلْ هَجَمَ عَلَيْهِ . وَكَانَ الدَّرَّاسُ ضَخْمًا ، وَلَكِنَّهُ بَطِيءٌ ، أَمَّا النَّابُ الْأَبْيَضُ فَكَانَ يَقْفِزُ هُنَا وَهُنَاكَ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَكَانَ يُهَاجِمُ ثُمَّ يَقْفِزُ بَعِيدًا لِيَتَفَادَى هُجُومَ الْكَلْبِ الْآخَرِ .

وَكَانَ الرُّجَالُ يَتَصَايَحُونَ فِي الْخَارِجِ ، أَمَّا بِيُوتِي سَمِيثَ فَكَانَ يَرْقُصُ فِي مَرَحٍ . لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَيْ أَمَلٍ لِلدَّرَّاسِ . وَفِي النِّهَايَةِ سَحَبَ صَاحِبُ الْمَاسْتِيفِ كَلْبَهُ مِنَ السَّاحَةِ ، وَكَسَبَ بِيُوتِي سَمِيثَ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرَكَةِ .

* * *

وَتَكَرَّرَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْمَعَارِكِ مِرَارًا ، وَبَدَأَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَطَلَّعُ إِلَى احْتِشَادِ الرُّجَالِ حَوْلَ الْمَكَانِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ ؛ إِذْ كَانَ مَعْنَى ذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنَ الْمَعَارِكِ ، وَكَانَ هَذَا هُوَ السَّبِيلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يُظْهَرَ حَيَوِيَّتُهُ ، وَكَانَ الْفَوْزُ دَائِمًا مِنْ نَصِيْبِهِ . وَقَدْ صَارَ ذَنْبًا كَامِلَ النُّمُو جَلْبُوهَ رَأْسًا مِنَ الْغَابَةِ ، كَمَا وَاجَهَ - ذَاتَ مَرَّةٍ -

كَلْبَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَعًا .

وَعِنْدَمَا حُلَّ فَصْلُ الشِّتَاءِ ، ذَهَبَ بِيُوتِي سَمِيثَ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُسُونِ ، وَاصْطَحَبَ مَعَهُ النَّابَ الْأَبْيَضَ وَاضِعًا إِيَّاهُ فِي قَفْصٍ . وَعِنْدَمَا وَصَلَتِ السَّفِينَةُ إِلَى دَاوُسُونِ قُدِّمَ عَلَى أَنَّهُ الذَّنْبُ الْمُقَاتِلُ ، وَدَفَعَ الرُّجَالُ مَبْلَغًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ لِمُشَاهَدَتِهِ . وَهَكَذَا لَمْ يَكُنْ يَهْنَأُ بِشَيْءٍ مِنَ الرَّاحَةِ . وَعِنْدَمَا كَانَ يَرْقُدُ لِيَنَامَ كَانَ بِيُوتِي يَزْجِرُهُ بِعَصَاهُ حَتَّى يَنْمِيَ فِيهِ رُوحَ الشَّرَاسَةِ ، فَيُكَشِّرُ عَنْ أَنْيَابِهِ ، وَيَقْفِزُ فِي وَجْهِهِ الرُّجَالِ مِنْ خَلْفِ قُضْبَانِ الْقَفْصِ . وَكَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ وَكُلُّ حَرَكَةٍ تَصْدُرُ عَنِ الْمُشَاهِدِينَ تَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ حَيَوَانٌ شَرِسٌ شَدِيدُ الْخَطَرِ .

وَكَانَ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي مَعَارِكِ ضَارِيَةٍ مَعَ الْكِلَابِ الْآخَرَى ، وَكَانَتْ النُّقُودُ تُدْفَعُ لِصَاحِبِ الْكَلْبِ الْفَائِزِ ، الَّتِي كَانَتْ بِالطَّبْعِ مِنْ نَصِيبِ بِيُوتِي سَمِيثَ . وَلَمَّا كَانَتْ مُصَارَعَاتُ الْكِلَابِ مَحْظُورَةً فِي الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَنْقُلُ كُلَّ مَرَّةٍ فِي قَفْصٍ عِدَّةَ كِيلُومِتْرَاتٍ دَاخِلَ الْغَابَةِ ، وَهُنَاكَ تَبْدَأُ الْمُصَارَعَاتُ مَعَ ضَوْءِ الصَّبَاحِ . وَقَدْ أَخَذَتْ هَذِهِ الْمُصَارَعَاتُ تَقِلُّ مَعَ الْأَيَّامِ ؛ لِأَنَّ الرُّجَالَ لَمْ يَكُنْ يَاسْتَطَاعَتُهُمُ الْعُثُورُ عَلَى كَلْبٍ يَصْلُحُ نَدًا لَهُ .

وَأَخَذَ بِيُوتِي سَمِيثَ يُرَاهِنُ عَلَى مَا يَصْطَادُهُ الْهُنُودُ مِنْ ذِئَابٍ ،

وَكَانَ الصَّرَاعُ بَيْنَ النَّابِ الْأَبْيَضِ وَبَيْنَهَا مَجْلِبَةٌ لَجُمْهُورٍ غَفِيرٍ ،
وَكَانَ الْفَوْزُ دَائِمًا مَا يَكُونُ مِنْ نَصِيبِ النَّابِ الْأَبْيَضِ . وَذَاتَ مَرَّةٍ
أَحْضَرُوا لَهُ وَشَقَّةً مَتَوَحِّشَةً كَانَتْ تُضَارِعُهُ فِي السَّرْعَةِ ؛ فَكَانَ عَلَى
النَّابِ الْأَبْيَضِ أَنْ يُصَارِعَ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ .

وَتَوَقَّعَتِ الْمُصَارَعَاتُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِذْ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حَيَوَانَاتٍ
لِلْمُصَارَعَةِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ فَقَطُّ لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهِ .

وَفِي الرَّبِيعِ وَصَلَ تَيْمُ كَيْنَانَ وَمَعَهُ أَوَّلُ كَلْبٍ مِنْ نَوْعِ الْبُولْدُغِ
يَصِلُ إِلَى الْبِلَادِ ، وَهُوَ كَلْبٌ ذُو رَقَبَةٍ قَصِيرَةٍ لِلْغَايَةِ ، وَلَا يَعَضُّ أَوْ
يُمَزِّقُ كَمَا تَفْعَلُ الْكِلَابُ الْأُخْرَى ، وَإِنَّمَا يَغْرِسُ أَسْنَانَهُ فِي ضَحِيَّتِهِ
وَلَا يَتْرُكُهَا أَبَدًا .

وَعَلَى مَدَى أَسْبُوعٍ بِأَكْمَلِهِ ، ظَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَحَدَّثُ عَنْ
الْمُصَارَعَةِ الَّتِي يَجْرِي الْإِعْدَادُ لَهَا بَيْنَ النَّابِ الْأَبْيَضِ وَالْبُولْدُغِ .

الفصل الثالث عشر

البولدُغ

كَانَ يُطْلَقُ عَلَى الْكَلْبِ الْبُولْدُغِ اسْمُ شِيروكي . وَنَزَعَ بِيُوتِي
سَمِثَ السَّلْسِلَةِ عَنْ رَقَبَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَتَرَجَعَ إِلَى الْخَلْفِ . لَمْ
يَبْدَأِ النَّابُ الْأَبْيَضُ الْهُجُومَ فَوْرًا ، بَلْ وَقَفَ دُونَ حَرَكَ يَتَأَمَّلُ
الْحَيَوَانَ الَّذِي يُوَاجِهُهُ ، فَهُوَ لَمْ يَرَ كَلْبًا مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ . أَمَّا الْبُولْدُغُ
فَقَدْ تَحَرَّكَ بَظُوءٍ عَلَى أَرْجُلِهِ الْقَصِيرَةِ حَتَّى مَرَكَزِ الدَّائِرَةِ ، ثُمَّ
تَوَقَّفَ وَنَظَرَ إِلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ .

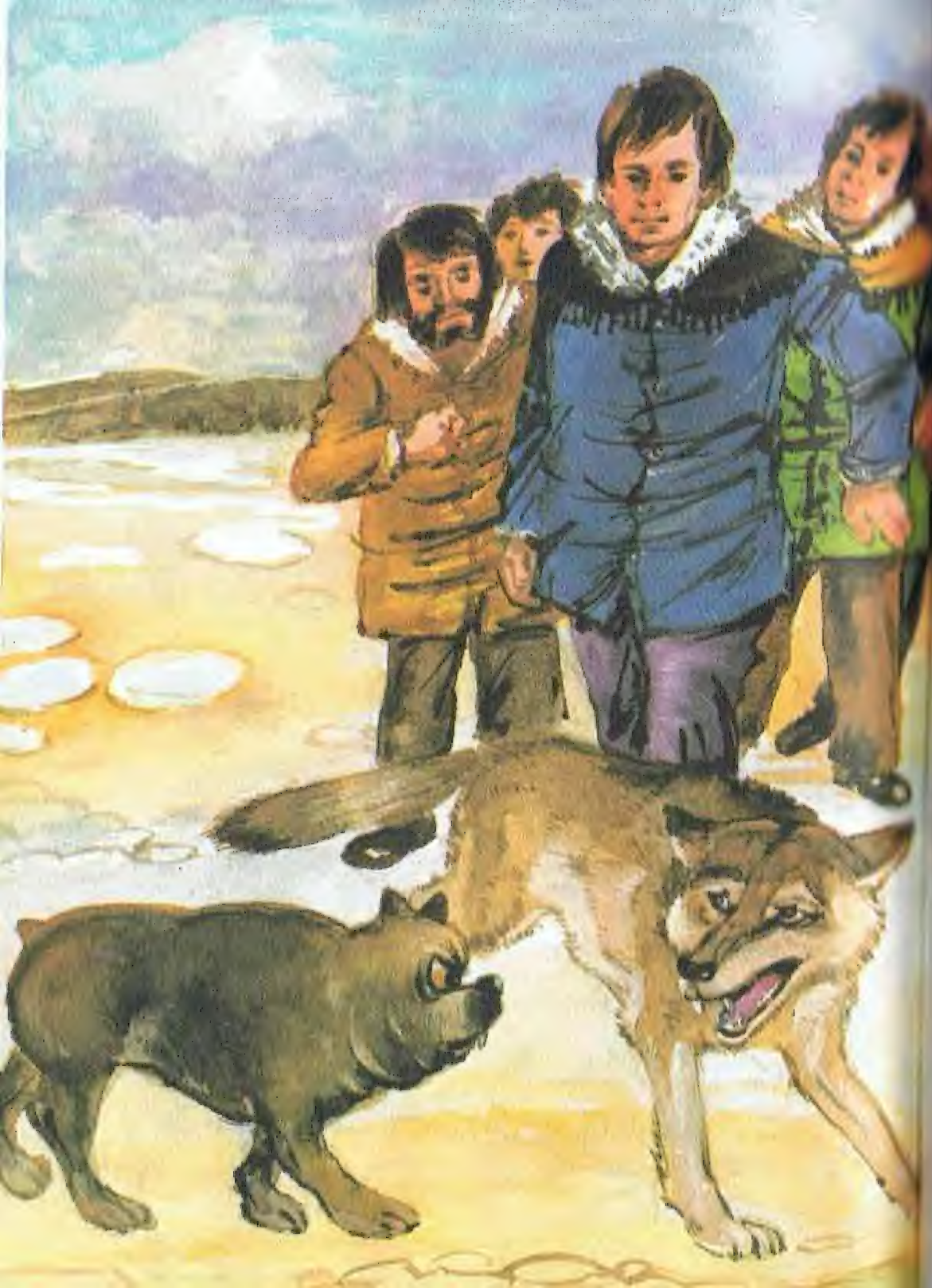
صَاحَ الْجُمْهُورُ : « شِيروكي ، عَلَيْكَ بِهِ ! » وَلَكِنْ لَمْ يَبْدَأِ عَلَى
شِيروكي أَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ لِمُصَارَعَتِهِ ، وَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ خَوْفٍ بَلْ
كَانَ فَرَطَ كَسَلٍ فَقَطُّ . وَدَخَلَ تَيْمُ كَيْنَانَ إِلَى الْحَلْقَةِ ، وَدَفَعَ
شِيروكي إِلَى الْأَمَامِ ، فَضَرَبَهُ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، ثُمَّ ارْتَدَّ بَعِيدًا ، وَإِذَا
بِرَقَبَةِ الْبُولْدُغِ تَنَزَّفٌ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْدَأِ إِشَارَةً أَوْ يُصْدِرَ آيَةً أَنِينٍ ، بَلْ

اِسْتَدَارَ وَحَاوَلَ أَنْ يَلْحَقَ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ . وَفَجْأَةً قَفَزَ النَّابُ الْأَبْيَضُ
وَعَقَرَ الْبُولْدُغَ ثُمَّ ابْتَعَدَ فِي خِيفَةٍ ، وَكَرَّرَ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَعَدُوهُ
لَا يَزَالُ يَلَاحِظُهُ . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَتَحَرَّكُ فِي دَائِرَةٍ . وَتَحَرَّكَ
الْبُولْدُغَ إِلَى دَاخِلِ الدَّائِرَةِ مُحَاوِلًا غَرَسَ أَنْيَابِهِ فِي رَقَبَتِهِ ، وَحَاوَلَ
النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يَطْرَحَهُ أَرْضًا . لَكِنْ كَتَفَهُ كَانَتْ أَعْلَى مِنْ ظَهْرِ
شِيرُوكِي ، فَتَلَقَّى ضَرْبَةً شَدِيدَةً جَعَلَتْهُ يَسْقُطُ فَوْقَ جِسْمِ الْبُولْدُغِ
تَمَامًا ، وَكَانَتِ السَّقْطَةُ عَلَى جَنْبِهِ . وَفِي لَحْظَةٍ كَانَتْ أَسْنَانُ
شِيرُوكِي تُطْبِقُ عَلَى رَقَبَتِهِ .

وَهَبَ النَّابُ الْأَبْيَضُ وَاقِفًا وَأَخَذَ يَعْدُو فِي وَحْشِيَّةٍ وَيَدُورُ مُحَاوِلًا
أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ الْبُولْدُغِ .

وَزَلَّ يَدُورُ وَيَدُورُ وَالْبُولْدُغُ لَا يَزَالُ مُطْبِقًا عَلَى رَقَبَتِهِ . وَأَخِيرًا حَلَّ
عَلَيْهِ التَّعَبُ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَزِيدَ شَيْئًا ، فَرَقَدَ عَلَى جَنْبِهِ ، وَأَصْبَحَ
مِنَ الصُّعْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَنَفَّسَ . وَبَدَأَ كَمَا لَوْ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَدْ انْتَهَتْ .
وَكَانَ الْجُمْهُورُ يَصِيحُ : « شِيرُوكِي ! شِيرُوكِي ! »

وَفَجْأَةً سَمِعُوا صَوْتَ أَجْرَاسٍ ، فَرَّاحَ كُلُّ فَرْدٍ يَسْتَطْلِعُ الْأَمْرَ ،
وَكَانُوا يَخْشَوْنَ الشُّرْطَةَ ، وَلَكِنَّهُمْ رَأَوْا رَجُلَيْنِ يَجْرِيَانِ بِرَحَاقَةٍ
وَكَلاِبَ . فَلَمَّا شَاهَدَا الْجَمْعَ أَوْقَفَا الْكِلَابَ ، وَأَتَيَا لِكَيْ يَعْرِفَا سَبَبَ
هَذَا الْهَيَاجِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُدْرِيًا لِلْكِلَابِ وَيُدْعَى مَات ، أَمَّا
الْآخَرُ فَيُدْعَى سَكُوتُ وَهُوَ شَابٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ .



كَفَّ النَّابُ الْأَبْيَضُ تَقْرِيبًا عَنِ النَّضَالِ . وَكَانَ بِيوتِي سميث يَعْلَمُ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ خَاسِرَةً ، فَانْقَضَ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَأَخَذَ يَرْكُلُهُ بِقَدَمِهِ ، وَسَطَ صَيْحَاتِ الْجُمُوعِ الْغَاضِيَةِ . وَمَا كَادَ بِيوتِي يَرْفَعُ قَدَمَهُ مَرَّةً أُخْرَى لِيَرْكُلَهُ حَتَّى تَلْقَى ضَرْبَةً عَنيفَةً فِي وَجْهِهِ سَدَّهَا لَهُ سَكُوتٌ رَفَعَتْ جِسْمَهُ عَنِ الْأَرْضِ ، وَانْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَسَقَطَ عَلَى الْجَلِيدِ .

والتفت سكوت ، الشاب الطويل إلى الجمهور صائحاً : « أيها الوحوش ! » فوقف بيوتي سميث ومضى نحوه ، فصاح فيه سكوت : « أيها الوحش ! » وسدد له لكمة أخرى ، ثم قال لرفيقه : « هلم ساعدني ، يا مات . » وأنحنى الرجلان فوق الكلبين ، وفتحا فكي البولدغ ، ثم دفعا مؤخره مُسدس بينهما .

وجاء تيم كينان صاحب البولدغ ، ولمس كتف سكوت وقال مُحذراً : « لا تكسر أسنانه . »

قال له سكوت : « إذا فهو كلبك . »

وأخيراً فتح مات فم البولدغ ، ودفعه سكوت لصاحبه قائلاً : « خذه بعيداً . »

نظر مات إلى الناب الأبيض وقال : « لقد أوشك أن يموت ، »

ولكنه لا يزال يتنفس . »

قال سكوت : « إن كلب الزحافة الجيد يساوي ثلاثمئة دولار ، وسوف أعطي هذا الرجل نصف هذا المبلغ . » وأشار إلى صاحب الناب الأبيض قائلاً : « هل تسمعني أيها الوحش ؟ »

قال بيوتي سميث : « لن أبيع ، وكل إنسان حر فيما يملكه . »

قال سكوت : « أجل ، كل إنسان حر ، ولكنك لست إنساناً ! إنك وحش ! خذه ، وإذا رجعت إلى داوسون فسوف تطردك الشرطة من المدينة ، هل تفهم ؟ »

قال بيوتي سميث : « أجل . »

قال سكوت : « أجل ماذا ؟ »

قال بيوتي : « أجل ، يا سيدي . »

سأل تيم كينان واحداً من الجمع : « من يكون هذا الرجل ؟ »

أجابته : « إنه ويدن سكوت ، أحد الرجال المرموقين في مجال تعدين الذهب . »

قال كينان : « لقد توقعت أن يكون شخصية ذات شأن . »

قال مات : « اَمْنَحْهُ فُرْصَةً ، اَطْلِقْهُ مِنْ قَيْودِهِ قَلِيلًا . اَعْرِفْ اَنْكَ حَاوَلْتَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَسْتَعِنْ بِالْهَرَاوَةِ . »

قال سكوت : « وَهُوَ كَذَلِكَ . فَلْتَحَاوِلْ اَنْتَ . » اخَذَ مات الْهَرَاوَةَ وَذَهَبَ إِلَى النَّابِ الْاَبْيَضِ ، الَّذِي اخَذَ يَرْمُقُهَا بِعَيْنَيْهِ .

قال مات : « اُرَأَيْتَ كَيْفَ يَرْمُقُ الْهَرَاوَةَ بِعَيْنَيْهِ ؟ هَذِهِ بَادِرَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَهُوَ لَيْسَ عَمِيًّا وَلَكِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَهَاجِمَنِي وَالْهَرَاوَةُ فِي يَدِي . »

وَأَقْتَرَبَ مات بِيَدِهِ مِنْ رَقَبَةِ النَّابِ الْاَبْيَضِ فَرَمَجَرَ . لَقَدْ كَانَ يَلَاحِظُ يَدَهُ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَنْظُرُ إِلَى الْهَرَاوَةِ . وَفَكَ السَّلْسِلَةَ وَأَطْلَقَ سَرَّاحَهُ . وَلَمْ يُصَدِّقِ النَّابُ الْاَبْيَضُ أَنَّهُ صَارَ حُرًّا طَلِيقًا ؛ إِذْ لَمْ يَشْعُرْ بِالْحُرِّيَّةِ قَطُّ طَوَالَ الْأَشْهُرِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَلِكًا لِبَيوتِي سَمِيثَ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَثْنَاءَ مُبَارَاةِ الْمَصَارَعَةِ . وَمَضَى إِلَى رُكْنِ الْغُرْفَةِ ، ثُمَّ رَجَعَ بِضَعِ خُطَوَاتِهِ ، وَنَظَرَ إِلَى الرَّجُلَيْنِ .

سَأَلَ سَكُوتُ : « أَلَنْ يَهْرَبَ ؟ »

قال مات : « عَلَيْنَا أَنْ نُجَازِفَ . »

قال سكوت : « يَا لِلشَّيْطَانِ الْمِسْكِينِ ! إِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَطْفِ . » وَأَتَى بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ، وَأَلْقَى بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَفَزَ النَّابُ الْاَبْيَضُ بَعِيدًا ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا هَنِيئَةً . وَهَنَا صَاحَ مات يَسْتَحِثُّ

الفصل الرابع عشر

« اَمْنَحْهُ فُرْصَةً »

قال سكوت : « لَا أَمَلُ يُرْجَى مِنْهُ ! » ثُمَّ اخَذَ يَنْظُرُ هُوَ وَمَاتُ إِلَى النَّابِ الْاَبْيَضِ ، وَهُوَ يُنَاضِلُ عِنْدَ طَرَفِ السَّلْسِلَةِ ، مَزْمَجْرًا وَمُحَاوِلًا الْوُصُولَ إِلَى كِلَابِ الرَّحَاقَةِ . وَقَدْ تَعَلَّمَتْ هَذِهِ الْكِلَابُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُ ، حَتَّى مِيجُور - أَضْحَمَ الْكِلَابِ حَجْمًا - صَارَ يَعِي ذَلِكَ .

قال سكوت : « إِنَّهُ ذِئْبٌ ، وَلَا يُمَكِّنُ تَرْوِيضُهُ . »

قال مات : « لَا أَذْرِي ، وَلَكِنِّي مُتَأَكَّدٌ أَنَّ فِيهِ الْكَثِيرَ مِنْ صِفَاتِ الْكَلْبِ ، وَقَدْ تَمَّ تَدْرِيئُهُ مِنْ قَبْلُ . انْظُرْ إِلَى تِلْكَ الْعَلَامَاتِ عَلَى صَدْرِهِ . لَقَدْ كَانَ مِنَ الْكِلَابِ الَّتِي تَجْرُ الرَّحَاقَاتِ قَبْلُ أَنْ يَقْتَنِيَهُ بَيُوتِي سَمِيثَ ، وَقَدْ يُصْبِحُ كَلْبَ زَحَاقَةٍ مَرَّةً أُخْرَى . »

قال سكوت : « هَلْ تَنْظُرُ ذَلِكَ ؟ لَقَدْ أَمْضَى مَعَنَا أَسْبُوعَيْنِ ، وَمَا زَالَ مُتَوَحِّشًا ، بَلْ أَصْبَحَ أَكْثَرَ تَوَحُّشًا مِنْ ذِي قَبْلُ . »

ميجور - وَهُوَ أَضْحَمُّ الْكِلَابِ الَّتِي تَجْرُ الزَّحَافَةُ - وَلَكِنْ بَعْدَ قَوَاتِ الْآوَانِ ؛ فَمَا إِنْ أُنْدَقَعَ مِيجورُ لِيَحْصُلَ عَلَى قِطْعَةِ اللَّحْمِ حَتَّى قَفَزَ النَّابُ الْأَبْيَضُ نَحْوَهُ وَنَهَشَهُ ؛ فَوَقَّفَ مِيجورُ وَالدِّمَاءُ تَنَزَّفُ مِنْ عُنُقِهِ .

قَالَ سَكُوتُ : « إِنَّهُ خَطَأً مِيجور . »

وَرَفَعَ مَاتَ قَدَمَهُ لِيَرَّكُلَ النَّابَ الْأَبْيَضَ ، فَقَفَزَ هَذَا نَحْوَهَا ؛ فَتَدَتْ عَنْ مَاتَ صَرْخَةً أَلَمَ حَادَّةً . وَصَاحَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَدَمِهِ الْمَلَوْنَةِ بِالدَّمِ : « لَقَدْ أَصَابَنِي ! »

قَالَ سَكُوتُ : « قُلْتُ لَكَ لَا أَمَلُ يَرْجِي مِنْهُ . لَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى النَّهَايَةِ ، فَهِيَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تَفْعَلَهُ . » ثُمَّ أَخْرَجَ مُسَدَّسَهُ ، فَقَالَ مَاتَ : « اسْمَعْ ، يَا سَكُوتُ ، لَقَدْ صَادَفَ هَذَا الْكَلْبُ وَقْتًا عَصِييًّا ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَوَقَّعَ مِنْهُ أَنْ يَتَغَيَّرَ فَجَاءَهُ . »

قَالَ سَكُوتُ : « انْظُرْ إِلَى مِيجور . » كَانَ مِيجورُ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ ، فَقَالَ مَاتَ : « قُلْتُ إِنَّهَا غَلَطَةٌ مِيجورُ ؛ لِأَنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ نَصِيبَ النَّابِ الْأَبْيَضِ مِنَ اللَّحْمِ . لِمَاذَا حَاوَلْتُ أَنْ أُرْكَلَهُ ؟ لَمْ يَكُنْ لِي حَقٌّ فِي أَنْ أُرْكَلَهُ . اْمْنَحْهُ فُرْصَةً . إِنَّهُ لَمْ يَمْنَحْ فُرْصَةً بَعْدَ . »

قَالَ سَكُوتُ ، وَهُوَ يُعِيدُ مُسَدَّسَهُ : « سَتَرَكُهُ يَجْرِي طَلِيقًا ،

وَسَرَى مَدَى أَثَرِ الْعَطْفِ عَلَيْهِ . » وَمَضَى نَحْوَ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَبَدَأَ يَلَاظِفُهُ . فَحَذَرَهُ مَاتَ قَائِلًا : « يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ مَعَكَ هِرَاوَةٌ . » وَلَكِنْ سَكُوتُ هَزَّ رَأْسَهُ قَائِلًا : « لَا . » وَمَضَى يُحَاوِلُ أَنْ يَجْعَلَ النَّابَ الْأَبْيَضَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ .

لَمْ يَفْهَمِ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، بَلْ كَانَ خَائِفًا . لَقَدْ قَتَلَ كَلْبَ سَيِّدِهِ وَعَقَرَ صَدِيقَهُ ، وَتَوَقَّعَ أَنْ يَنَالَ عِقَابَهُ ، وَلَكِنْ السَّيِّدُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هِرَاوَةٌ فَتَرَكَهُ يَقْتَرِبُ مِنْهُ ، وَكَانَتْ يَدُ السَّيِّدِ فِي طَرِيقِهَا يَبْطِئُ لِمَلَامَسَةِ رَأْسِهِ ، فَزَادَ النَّابُ الْأَبْيَضُ بِجَوَارِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَزْمَجِرُ . كَانَ يَشْعُرُ بِبَعْضِ الْخَطَرِ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَمَسَّهُ أَحَدٌ ، فَتَعَالَتْ زَمَجَرَتُهُ ، وَلَكِنْ يَدُ سَيِّدِهِ اسْتَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى رَقَبَتِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِهِ رَغْبَةً لِأَنْ يَعْصَهَا . وَظَنَّ سَكُوتُ أَنَّهُ سَرِيعُ الْهَرَبِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَرَفَ بَعْدَ سُرْعَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ الْعَجِيبَةِ . وَفَجْأَةً أَطْلَقَ سَكُوتُ صَرْخَةً أَلَمَ ، وَقَفَزَ مَاتَ إِلَى جَانِبِهِ ، وَتَرَجَعَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى الْخَلْفِ مُكَشِّرًا عَنْ أَنْيَابِهِ . الْآنَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَتَوَقَّعَ عِقَابًا صَارِمًا مِثْلَمَا كَانَ يُعَاقِبُهُ بِهِ بِيَوْتِي سَمِثَ .

هَرَعَ مَاتَ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَخَرَجَ يَحْمِلُ بُنْدُوقَهُ .

صَاحَ سَكُوتُ : « مَاذَا سَتَفْعَلُ ؟ »

قال مات : « سَوْفَ أَقْتَلُهُ ! »

قال سكوت : « لا ! فكما سبق أن قلت أنت امتحه فرصة .
لقد بدأنا توا . لقد كان الخطأ خطئي . انظر إليه . » وكان الناب
الأيض قد انزوى بعيداً في ركن الغرفة يزجر في شراسة ، لا في
سكوت ، بل في مات .

قال سكوت : « إنه يفهم . إنه يعرف معنى البندقيّة . ضع
البندقيّة جانباً . » فوضع مات البندقيّة ، وأبتعد عنها ، فتوقفت زمجرة
الناب الأبيض ، ورفقت في هدوء . وتناول مات البندقيّة ورفعها إلى
كتفيه ؛ فهذا الناب الأبيض ثم قفز جانباً ، فقال مات : « إنني
أوافقك ، يا سكوت . إن هذا الكلب بلغ من المهارة والفهم الحد
الذي يجب معه ألا يقتل . »

الفصل الخامس عشر معلم الحب

بعد مضي أربع وعشرين ساعة ، شاهد الناب الأبيض سكوت
قادمًا نحوه ، وقد علقت يده الجريحة بالقرب من كتفه حتى
لا ينزف منها الدم . وجلس سكوت على مبعدة خطوات منه .

لم يكن بوسع الناب الأبيض أن يعي شيئاً بعد أن أقدم على
فعلته النكراء ، فقد عقر يد أحد السادة ، ولا بد أن تكون نتيجة
ذلك سيئة عليه . ولكن ها هو ذا السيد يجلس على الأرض ، وليس
معه عصا أو بندقيّة ، كما أنه - هو الناب الأبيض - حر طليق ،
يستطيع أن يهرب عندما يهجم السيد بالوقوف . وظل السيد هادئاً
فتوقفت زمجرة الناب الأبيض . ثم تكلم السيد ، فرمجر الناب
الأبيض ثانية . وكانت كل كلمة تصدر عن السيد تقابل برمجرة
من الناب الأبيض . وتحدث سكوت بلسن ورفق ، فبدأ الناب
الأبيض يشعر ببعض الاطمئنان الذي لم يشعر به قط من قبل .

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ نَهَضَ السَّيِّدُ وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، ثُمَّ عَادَ وَجَلَسَ فِي ذَاتِ الْمَكَانِ ، وَأَمْسَكَ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ ، فَرَفَضَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يَلْمِسَهَا ، فَأَلْقَى بِهَا السَّيِّدُ عَلَى الْجَلِيدِ عِنْدَ أَرْجْلِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، فَأَخَذَ يَتَشَمَّمُهَا وَعَيْنَاهُ عَلَى السَّيِّدِ . وَعِنْدَمَا لَمْ يَطْرَأَ شَيْءٌ ، تَنَاوَلَ قِطْعَةَ اللَّحْمِ وَالتَّهَمَهَا ، فَقَرَّبَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ قِطْعَةً أُخْرَى ، وَلِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ رَفَضَ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا مِنْ يَدِهِ . وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَأَخِيرًا رَفَضَ السَّيِّدُ أَنْ يُلْقِيَ بِقِطْعِ اللَّحْمِ وَأَبْقَاهَا فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَدَّمَهَا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلَ النَّابُ الْأَبْيَضُ نَحْوَهُ بِطُءٍ شَدِيدٍ ، فَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَلْتَهُمَ اللَّحْمَ مِنَ الْيَدِ الْمُمْتَدَّةِ إِلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْوُلْ عَيْنِيهِ مُطْلَقًا عَنْ سَيِّدِهِ ، وَأَطْلَقَ صَيْحَةً خَفِيفَةً تُحَذِّرُهُ مِنْ أَلَّا يَكُونَ فِي الْأَمْرِ آيَةٌ خُدْعَةٍ ، ثُمَّ التَّهَمَ اللَّحْمَ قِطْعَةً بَعْدَ قِطْعَةٍ .

وَأَسْتَمَرَ السَّيِّدُ يَتَحَدَّثُ فِي صَوْتٍ هَادِئٍ عَطُوفٍ ، وَكَانَ الْعَطْفُ ، بِالنُّسْبَةِ لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ ، شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِذَلِكَ أَثَارَ الْعَطْفِ فِي نَفْسِهِ إِحْسَاسًا لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِهِ مِنْ قَبْلُ .
آه ! مَا هَذَا ؟ أَمْ خُدْعَةٌ أُخْرَى ؟

كَانَتْ يَدُ السَّيِّدِ تَدْنُو مِنْ رَأْسِهِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، فَرَمَجَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، وَبَسَطَ أُذُنَيْهِ مَغْطِيًا بِهِمَا رَأْسَهُ وَهُوَ يَتَأَهَّبُ . وَاقْتَرَبَتْ يَدُ السَّيِّدِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَهْبِطُ تَحْتَهَا فَتَتْبَعُهُ الْيَدُ ، ثُمَّ

لَمَسَتْهُ بِرَفْقٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَرَبَّتْ عَلَيْهِ . وَظَلَّ السَّيِّدُ يَتَحَدَّثُ وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَيْهِ . لَقَدْ كَانَ شَيْئًا لَطِيفًا . ثُمَّ تَحَوَّلَ التَّرْبِيتُ إِلَى مُدَاعَبَةٍ خَلْفَ الْأُذُنَيْنِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مُدَاعَاةً لِلسُّرُورِ .

وَحِينَ خَرَجَ مَاتَ مِنَ الْمَنْزِلِ ، فَفَزَّ النَّابُ الْأَبْيَضُ خَلْفَهُ وَزَمَجَرَ فِيهِ بِوَحْشِيَّةٍ ، فَذَهَبَ سَكُوتٌ إِلَيْهِ وَتَحَدَّثَ فِي هُدُوءٍ وَرَبَّتْ عَلَيْهِ .

قَالَ مَاتَ : « مَا كُنْتُ لِأُصَدِّقَ أَنَّ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ ! »

كَانَتْ هَذِهِ بَدَايَةَ مَرَحَلَةٍ جَدِيدَةٍ فِي حَيَاةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ - نِهَآيَةَ عَهْدٍ قَدِيمٍ حَافِلٍ بِالْكَرَاهِيَةِ وَبَدَايَةَ عَهْدٍ مُفْعَمٍ بِالْحُبِّ . لَقَدْ وَصَلَتْ يَدُ سَكُوتِ الرَّقِيقَةِ إِلَى جَذْوَرِ طَبِيعَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَلَمَسَ مَكْمَنَ الْحُبِّ عِنْدَهُ . لَقَدْ أَعْجَبَ النَّابُ الْأَبْيَضُ قَبْلَ ذَلِكَ بِالنَّاسِ لَكِنَّهُ لَمْ يُحِبَّهُمْ ، غَيْرَ أَنَّ الْحُبَّ لَا يَأْتِي فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ .

لَمْ يَهْرَبِ النَّابُ الْأَبْيَضُ لِأَنَّهُ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى سَيِّدٍ ، وَقَدْ أَعْجَبَهُ سَكُوتٌ ، فَكَانَ يَحْرُسُهُ وَيَحْرُسُ أَمْتَعَتَهُ ، وَيَدُورُ حَوْلَ الْبَيْتِ عِنْدَمَا تَنَامُ كِلَابُ الزَّحَافَةِ . وَكَانَ عَلَى أَيِّ زَائِرٍ غَرِيبٍ لِلْبَيْتِ لَيْلًا أَنْ يَدْرَأَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَصَاهُ ، حَتَّى يَأْتِيَ سَكُوتٌ وَيُنْقِذَهُ مِنْهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ عَرَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ الْفَرْقَ بَيْنَ اللَّصُوصِ وَالْمُتَسَلِّلِينَ ، وَالرَّجَالَ الشُّرَفَاءِ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا .

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ سَكُوتٌ يَرَبَّتْ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ وَيُنَاغِيهِ .
وَكَانَ يُزْمَجِرُ دَائِمًا عِنْدَ التَّرْيِيبِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةٍ جَدِيدَةٍ -
نِعْمَةٍ تَدُلُّ عَلَى السَّعَادَةِ وَحُسْنِ الصَّدَاقَةِ . وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ
التَّحَوُّلُ مِنَ الْإِعْجَابِ إِلَى الْحُبِّ أَسْرَعَ . أَصْبَحَ يَشْعُرُ بِالْبَهْجَةِ فِي
صُحْبَةِ سَيِّدِهِ ، وَبِالْأَلَمِ عِنْدَ فِرَاقِهِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفْصَحْ عَنْ مَشَاعِرِهِ ،
فَلَمْ يَكُنْ يَعْدُو مُطْلَقًا لِيُقَابِلَ سَيِّدَهُ ، كَمَا لَمْ يَكُنْ يَنْبَحُ تَرْحِيبًا بِهِ
كَمَا تَفْعَلُ الْكِلَابُ الْأُخْرَى . كَانَتْ عَيْنَاهُ فَقَطْ تُعْبِرَانِ عَنْ
مَشَاعِرِهِ وَهُوَ يُتَابِعُ كُلَّ حَرَكَةٍ تَصْدُرُ عَنْ سَيِّدِهِ . كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ
يَجِبُ أَنْ يَدَعَ كِلَابَ سَيِّدِهِ وَشَأْنَهَا . وَسَمَحَ لِمَاتِ أَنْ يُطْعِمَهُ ، فَقَدْ
كَانَ صَدِيقًا لِسَيِّدِهِ . لَكِنْ مَاتَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْرُو أَنْ يَرْبِطَهُ فِي
الرُّحَاقَةِ ، وَلَكِنْ سَكُوتٌ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَبَعْدَ فِتْرَةٍ رَضِيَ أَنْ
يَقُومَ مَاتَ بِذَلِكَ أَيْضًا ، وَأَنْ يَقُودَ الرُّحَاقَةَ . وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ كَانَ
النَّابُ الْأَبْيَضُ هُوَ قَائِدُ الْكِلَابِ .

وَفِي أَوَاخِرِ الرَّبِيعِ بَدَأَتْ تَحُلُّ الْمَتَاعِبُ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ ؛ فَقَدْ
اخْتَفَى سَكُوتُ مُعَلِّمِ الْحُبِّ فَجَاءَ . وَلَمْ يَكُنِ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَفْهَمُ
أَنْ حَزَمَ الْأُمْتَعَةَ إِنَّمَا هُوَ دَلَالَةٌ عَلَى الرُّحِيلِ ، وَتَذَكَّرَ ذَلِكَ فِيمَا
بَعْدَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي حِينِهِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْتَضَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ عَوْدَةَ سَيِّدِهِ . كَانَتْ الرِّيحُ

بَارِدَةً ، وَلَكِنَّهُ جَلَسَ يَنْتَظِرُ سَمَاعَ أَوَّلِ صَوْتٍ لَوْعٍ خُطْوَانِهِ ، غَيْرَ أَنْ
السَّيِّدَ لَمْ يَعُدْ . وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ . وَمَرَضَ النَّابُ الْأَبْيَضُ
حَتَّى اضْطَرَّ مَاتَ لِإِدْخَالِهِ إِلَى الْبَيْتِ .

قَرَأَ سَكُوتُ رِسَالَةً مِنْ مَاتٍ يَقُولُ فِيهَا : « ذَلِكَ الْكَلْبُ الذُّئْبُ
لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ . إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ مَا حَدَثَ
لَكَ ، وَلَكِنِّي لَا أَدْرِي كَيْفَ أَخْبِرُهُ . »

تَحَدَّثَ مَاتٌ إِلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَلَكِنَّهُ فَقَطْ حَوَّلَ إِلَيْهِ عَيْنَيْهِ
الْكَلِيلَتَيْنِ ، ثُمَّ خَفَضَ رَأْسَهُ كَرَّةً أُخْرَى . وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي سَمِعَ
مَاتَ صَوْتًا وَاهِنًا يَصْدُرُ عَنِ النَّابِ الْأَبْيَضِ ، ثُمَّ رَأَاهُ يَنْتَصِبُ وَاقِفًا
عَلَى رِجْلَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ ، وَقَدْ اتَّجَهَتْ أُذُنَاهُ صَوْبَ الْبَابِ . وَبَعْدَ هُنِيئَةٍ
سَمِعَ مَاتَ وَقَعَ أَقْدَامِهِ ، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ وَدَخَلَ سَكُوتٌ ، وَتَصَافَحَ
الرُّجُلَانِ ، ثُمَّ نَظَرَ سَكُوتٌ حَوْلَهُ قَائِلًا : « أَيْنَ هُوَ ؟ »

لَمْ يَنْدَفِعِ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى الْأَمَامِ كَمَا يَفْعَلُ سَائِرُ الْكِلَابِ ،
وَلَكِنَّهُ وَقَفَ سَاكِئًا يَتَرَقَّبُ وَيَنْتَظِرُ . وَوَصَلَ سَكُوتٌ إِلَى مُنْتَصَفِ
الْغُرْفَةِ وَهُوَ يُنَادِي عَلَيْهِ ، فَتَقَدَّمَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى الْأَمَامِ . وَجَلَسَ
سَكُوتٌ إِلَيْهِ وَجْهًا لَوَجْهِهِ ، وَطَفِقَ يَرَبَّتْ عَلَيْهِ وَيَفْرُكُ خَلْفَ أُذُنَيْهِ عَلَى
حِينَ أَخَذَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يُزْمَجِرُ فِي قُوَّةٍ وَلَكِنْ بِنِعْمَةٍ جَدِيدَةٍ فِي
صَوْتِهِ . وَفَجْأَةً دَفَعَ بِرَأْسِهِ بَيْنَ ذِرَاعَيْ سَيِّدِهِ وَجِسْمِهِ ، حَتَّى اخْتَفَى

كُلُّ جِسْمِهِ فِيمَا عَدَا أذْنَيْهِ ، وَتَوَقَّعَتْ زَمْجَرَتُهُ . نَظَرَ الرَّجُلَانِ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ ، وَكَانَتْ عَيْنَا سَكُوتٍ تَلْمَعَانِ ، وَكَانَ مَاتَ يَنْطِقُ بِصُعُوبَةٍ ، وَأَخِيرًا قَالَ : « كُنْتُ دَائِمًا أَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ الذُّئْبَ إِنَّمَا هُوَ كَلْبٌ أَلِيفٌ . انْظُرْ إِلَيْهِ . »

وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ غَالِبًا مَا يَفْعَلُ ذَلِكَ . وَكَانَ هَذَا مِنْهُ بِمِثَابَةِ الْكَلِمَةِ الْأَخِيرَةِ ؛ إِذْ كَانَ رَأْسُهُ هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي يَحْفَظُهُ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ ، فَهُوَ لَا يُحِبُّ أَنْ يَلْمِسَهُ أَحَدٌ ، غَيْرَ أَنَّهُ الْآنَ يَضَعُ نَفْسَهُ فِي حَالَةٍ اسْتِسْلَامٍ وَثِقَةٍ كَامِلَةٍ ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ : « إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَأَفْعَلْ بِي مَا تَشَاءُ . »

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي كَانَ سَكُوتٌ وَمَاتَ يَلْعَبَانِ الْوَرَقَ قَبْلَ النَّوْمِ ، فَسَمِعَا صِيَاحًا وَزَمْجَرَةً عَنيفَةً فِي الْخَارِجِ ، أَعْقَبَتْهُمَا صَرْخَةٌ أَلَمَ وَخُوفٍ وَحَشِيَّةٌ . وَهَرَعَ سَكُوتٌ إِلَى الْخَارِجِ يَتَّبِعُهُ مَاتٌ حَامِلًا مِصْبَاحًا ، فَشَاهَدَا رَجُلًا مُمَدِّدًا عَلَى الْجَلِيدِ ، وَذِرَاعَاهُ تُغَطِّيَانِ وَجْهَهُ وَرَقَبَتَهُ ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِإِنْقَاذِ نَفْسِهِ مِنْ أَنْيَابِ النَّابِ الْأَبْيَضِ .

كَانَتْ الضَّرُورَةُ تُحْتِمُ ذَلِكَ ؛ فَالنَّابُ الْأَبْيَضُ كَانَ يُهَاجِمُ فِي شَرَاسَةٍ وَغَضَبٍ وَحَشِيٍّ . وَقَدْ تَمَزَّقَتْ سِتْرَةُ الرَّجُلِ إِرْبًا إِرْبًا ، كَمَا تَضَرَّجَتْ ذِرَاعَاهُ بِالدَّمِ .

جَذَبَ سَكُوتُ النَّابِ الْأَبْيَضِ بَعِيدًا ، عَلَى حِينٍ سَاعَدَ مَاتَ الرَّجُلَ كَيْ يَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهِ . وَعِنْدَمَا انْتَصَبَ وَاقِفًا خَفَضَ ذِرَاعَيْهِ فَلَاحَ وَجْهُ بِيوتِي سَمِثِ الْوَحْشِيِّ ، وَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ ، فَارْتَسَمَ الْفَزَعُ فِي عَيْنَيْهِ .

رَأَى مَاتَ شَيْئَيْنِ يَرْقُدَانِ عَلَى الْجَلِيدِ ؛ هِرَاوَةٌ ضَخْمَةٌ وَسِلْسِلَةٌ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمَا بِقَدَمِهِ وَرَأَاهُمَا سَكُوتٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ بِشَيْءٍ . وَوَضَعَ مَاتَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ بِيوتِي سَمِثِ وَأَدَارَهُ . لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ حَاجَةٍ إِلَى جِدَالٍ ؛ إِذْ أَخَذَ بِيوتِي سَمِثِ يَعْدُو هَارِبًا .

كَانَ سَكُوتٌ يَرَبَّتْ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ وَهُوَ يُنَاقِضُهُ قَائِلًا : « لَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَسْرِقَكَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ وَلَقِيَ جَزَاءَهُ . »
أَخَذَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَزَمْجِرُ وَيَزَمْجِرُ ، ثُمَّ رَقَدَ شَعْرُ ظَهْرِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَثُورَ ، وَعَادَتْ نَعْمَةُ الْحُبِّ بِطْءٍ إِلَى صَوْتِهِ .

الرَّصَاصَ وَتَقْتَلَهُ !»

قال مات : « عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَأْجِرَ رَجُلًا خَاصًا ، لِيَقُومَ عَلَي رِعَايَتِهِ . »

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ سَكُونٍ سَمِعَا ذَلِكَ الصَّوْتَ الْوَهِينَ الْحَزِينَ مَرَّةً أُخْرَى خَارِجَ الْبَابِ .

قال سكوت : « مات ! لا أدري ماذا أَفْعَلُ ؟ لَيْسَ بِوُسْعِي أَنْ أَقَرَّرَ شَيْئًا . وَلَكِنْ مِنَ الْجُنُونِ أَنْ أَصْطَحِبَ هَذَا الْكَلْبَ مَعِي . »
قال مات : « نَعَمْ ! إِنِّي أُوَافِقُكَ . »

وَأَتَى الْيَوْمَ الَّذِي رَأَى فِيهِ النَّابُ الْأَبْيَضُ الْحَقِيقَةَ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْغُرْفَةِ ، وَمَعْلَمُ الْحَبِّ يَضَعُ أَشْيَاءَ بِدَاخِلِهَا .

الآن عَرَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ سَيِّدَهُ سَيَرْحَلُ مَرَّةً أُخْرَى وَيَتْرَكُهُ .

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَفَعَ وَجْهَهُ نَحْوَ النُّجُومِ ، وَأَطْلَقَ صَرْخَةَ الدُّئْبِ الَّتِي أَطْلَقَهَا عِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْقَرْيَةِ ، وَلَمْ يَجِدْ بِهَا خِيَمَةَ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ .

قال مات : « لَقَدْ أَضْرَبَ عَنِ الطَّعَامِ مَرَّةً أُخْرَى . إِنَّهُ لَنْ يَذُوقَ شَيْئًا ، وَإِذَا ظَلَّ عَلَى حَالِهِ هَذِهِ فَلَنْ أَسْتَبْعِدَ أَنْ أَرَاهُ مَيِّتًا . »

الفصل السادس عشر

هَلْ سَيَتَخَلَّى عَنْهُ سَيِّدُهُ ؟

عَرَفَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنَّ تَغْيِيرًا مَا سَوْفَ يَحْدُثُ . لَقَدْ اسْتَطَاعَ بِطَرِيقَةٍ مَا أَنْ يَعْرِفَ مَا يُفَكِّرَانِ فِيهِ .

قال مات : « أَتُصِيتُ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْتِ ! »

سَمِعَ سَكُوتَ صَوْتًا حَزِينًا فَلَقَا يُشْبِهُ صِرَاحَ الطُّفْلِ تَقْرِيًا ، يَصِلُ إِلَيْهِمَا مِنْ خِلَالِ الْبَابِ ، ثُمَّ سَمِعَا النَّابَ الْأَبْيَضَ يَنْهَضُ وَيَتَشَمَّمُ عِنْدَ الْبَابِ ؛ لَكِنِّي يَتَأَكَّدُ أَنَّ سَيِّدَهُ لَا يَزَالُ بِالْدَاخِلِ .

قال مات : « إِنَّهُ يَعْرِفُ ! »

قال سكوت : « وَلَكِنْ ماذا عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ بِدُئْبٍ فِي كَاليفورنيا ؟ سَوْفَ يَقْتُلُ جَمِيعَ الْكِلَابِ الْأَلْيَفَةِ هُنَاكَ ، وَسَوْفَ أَكُونُ مُضْطَرًا لِتَعْوِضِهِمْ ، وَفِي النِّهَايَةِ سَوْفَ تُطْلَقُ عَلَيْهِ الشَّرْطَةُ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي صَارَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَشَدَّ قَلَقًا . وَأَصْبَحَ يُلَازِمُ
سَيِّدَهُ كَظِلِّهِ عِنْدَمَا يُغَادِرُ الْمَنْزِلَ ، وَيَظَلُّ قَائِمًا عَلَى عَتَبَةِ الْبَيْتِ عِنْدَمَا
يَكُونُ بِالْدَّخِيلِ . وَعَلَى أَرْضِ الْعُرْفَةِ كَانَتْ ثَمَّةٌ حَقِيقَتَانِ أُخْرَيَانِ ،
بَيْنَمَا أَخَذَ مَاتٌ يَرْتَبُ فِرَاشَ السَّيِّدِ .

وَأَقْبَلَ هِنْدِيَّانِ ، وَأَخَذَا الْحَقَائِبَ وَهَبَطَا التَّلَّ يَتَّبِعُهُمَا مَاتٌ ، ثُمَّ
عَادَ مَاتٌ وَرَاحَ سَكَوتٌ إِلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ ، وَأَصْطَحَبَهُ إِلَى الدَّخِيلِ
ثُمَّ حَادَثَهُ بِرَفْقٍ وَهُوَ يَقْرَأُ أَذْنِيَهُ : « أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْمَسْكِينُ ، سَارْحَلُ
بَعِيدًا حَيْثُ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي . هَيَّا ! زَمَجِرْ كَيْ تَوَدِّعَنِي . »

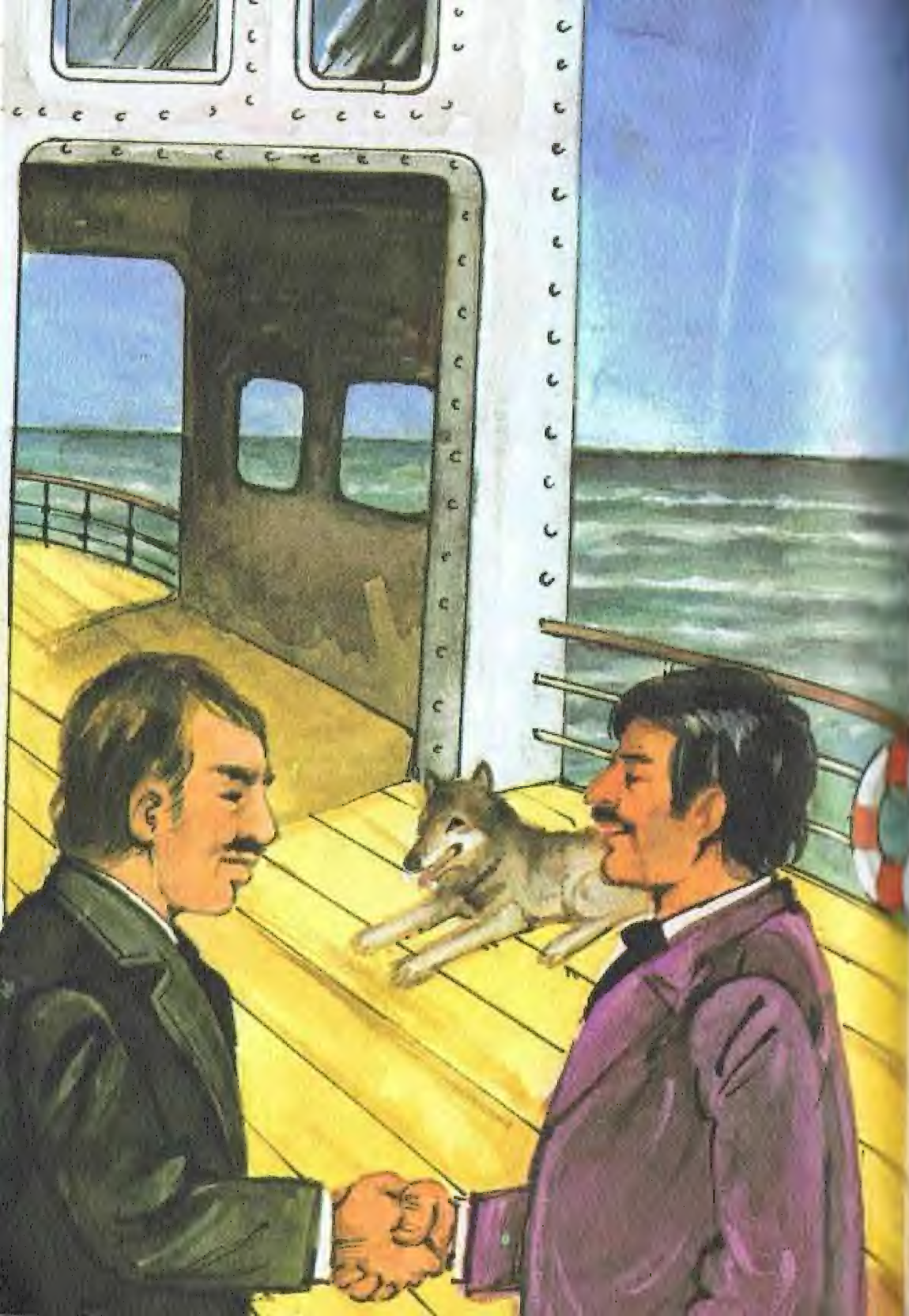
وَلَكِنَّ النَّابَ الْأَبْيَضَ لَمْ يَزَمَجِرْ بَلْ نَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً طَوِيلَةً
مَتَفَحِّصَةً ، ثُمَّ دَفَنَ رَأْسَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْ سَيِّدِهِ وَجَسَمِهِ .

قَالَ مَاتٌ : « لَقَدْ حَانَ وَقْتُ الرَّحِيلِ ، وَعَلَيْكَ إِغْلَاقُ الْبَابِ
الْأَمَامِيِّ ، وَسَاخَرَجُ أَنَا مِنَ الْخَلْفِ . »

قَالَ سَكَوتٌ : « عَلَيْكَ أَنْ تُعْنِيَ بِهِ جَيِّدًا ، يَا مَاتُ ، وَطَمِئَنِّي عَنْ
أَحْوَالِهِ . »

قَالَ مَاتٌ : « طَبَعًا ، وَلَكِنَّ أَنْصَبْتُ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْتِ ! »

سَمِعَ كِلَاهُمَا الصَّرْخَةَ الَّتِي يُطْلِقُهَا الْكَلْبُ عِنْدَ مَوْتِ سَيِّدِهِ ،
صَرْخَةً قَلْبٍ كَسِيرٍ عَمِيقَةٍ تَتَفَجَّرُ حُزْنًا . وَصَعِدَا إِلَى السَّفِينَةِ وَكَانَ



سكوت يُصافحُ مات مُودِّعاً ؛ وَفَجْأَةً سَقَطَتْ يَدُ مات وَتَسَمَّرَتْ عَيْنَاهُ
عَلَى شَيْءٍ مَا خَلْفَ سَكُوتٍ ؛ كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَجْلِسُ هُنَاكَ فِي
السَّفِينَةِ .

حَاوَلَ مات أَنْ يُمْسِكَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَعْدُو بَيْنَ أَقْدَامِ النَّاسِ ،
ثُمَّ نَادَاهُ سَيِّدُهُ مُعَلِّمُ الْحَبِّ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّابُ الْأَبْيَضُ . وَعِنْدَئِذٍ أَخَذَ
سَكُوتٌ يُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فَرَأَى جُرُوحًا فِي وَجْهِهِ فَقَالَ :
« لَقَدْ أَغْلَقْنَا الْأَبْوَابَ لَكِنَّا نَسِينَا النَّافِذَةَ . لَقَدْ قَفَزَ خِلَالَ الزُّجَاجِ
فَجَرَحَ نَفْسَهُ . حَسَنٌ ، وَدَاعًا يَا مات . أَمَا عَنِ الذُّئْبِ فَلَنْ تَكُونَ
بِكَ حَاجَةً إِلَى الْكِتَابَةِ عَنْهُ ، بَلْ أَنَا الَّذِي سَأَكْتُبُ إِلَيْكَ عَنْهُ ! »
وَتَحَرَّكَتِ السَّفِينَةُ ، فَلَوَّحَ سَكُوتٌ بِيَدِهِ لآخرِ مَرَّةٍ ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى
النَّابِ الْأَبْيَضِ الَّذِي يَقِفُ إِلَى جِوَارِهِ ، وَانْحَنَى عَلَيْهِ قَائِلًا وَهُوَ
يُرَبِّتُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَفْرِكُ أُذُنَيْهِ : « وَالْآنَ زَمْجِرْ ! هَيَّا زَمْجِرْ ! »

الفصل السابع عشر أَرْضُ الْجَنُوبِ

وَصَلَّتِ السَّفِينَةُ إِلَى سَانَ فَرَنْسِيَسْكو ، وَهَبَطَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى
الْيَابِسَةِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي الشَّمَالِ بَيُوتًا خَشِيبَةً صَغِيرَةً مُنْخَفِضَةً ،
أَمَّا هُنَا فَلَا بُنْيَةَ ضَخْمَةً كَالْأَبْرَاجِ تَكَادُ تَصِلُ إِلَى السَّمَاءِ ،
وَالشُّوَارِعُ تَكْتَضُ بِالسَّيَّارَاتِ ، وَالضَّجِيجُ مُرَوِّعٌ بَعْدَ سُكُونِ الْغَابَاتِ .
كَانَ خَائِفًا ، فَعِنْدَمَا أَتَى إِلَى قَرْيَةِ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ ، وَهُوَ بَعْدَ جَرُوءٍ
صَغِيرٍ ، كَانَ يَشْعُرُ بِالضَّالَّةِ ، وَالْآنَ وَهُوَ كَامِلُ النُّمُو يَشْعُرُ فِي هَذَا
الْمَكَانِ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ ضَالَّةً ، كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّادَةِ .

لَقَدْ وَضَعُوهُ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ مِنَ الْقِطَارِ الَّذِي تُحَفَظُ فِيهِ
الصُّنَادِيقُ وَالْحَقَائِبُ . وَتَوَلَّى رَجُلٌ جَسِيمٌ سَحَبَ الصُّنَادِيقِ
وَالْحَقَائِبِ إِلَى الدَّخْلِ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ ، وَكَانَ يَقْدِفُ بَعْضَهَا إِلَى
الخَارِجِ . وَجَلَسَ النَّابُ الْأَبْيَضُ هُنَاكَ إِلَى جِوَارِ الْحَقَائِبِ لِيَحْرُسَهَا

بَعْدَ أَنْ تَشَمَّمَهَا ، حَتَّى عَادَ سَيِّدُهُ بَعْدَ نَحْوِ السَّاعَةِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ
الْجَسِيمُ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعًا بِعَوْدَتِكَ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلْبَ لَمْ يَدْعُ
لِي فُرْصَةً لِلْمَسِّ حَقَائِكَ . »

عِنْدَمَا تَوَقَّفَ الْقِطَارُ وَجَدَ النَّابُ الْأَبْيَضُ نَفْسَهُ فِي الرِّيفِ حَيْثُ
الشَّمْسُ السَّاطِعَةُ وَالْهُدُوءُ . وَكَانَتْ إِحْدَى الْعَرَبَاتِ تَنْتَظِرُ ، وَخَرَجَ
مِنْهَا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ ، وَطَوَّقَتِ الْمَرْأَةُ بِذِرَاعَيْهَا رَقَبَةَ سَكُوت . وَفِي
اللَّحْظَةِ التَّالِيَةِ قَفَزَ سَكُوتُ بَعِيدًا عَنْ أُمِّهِ ، وَالتَّصَقَّ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ
الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى شَيْطَانٍ شَرِسٍ .

قَالَ سَكُوت : « لَا تَهْتَمِّي ، يَا أُمَاهُ ! لَقَدْ ظَنُّ أَنَّكَ سَتُؤْذِنَنِي ،
لَكِنَّهُ سَوْفَ يَتَعَلَّمُ سَرِيعًا . » ثُمَّ قَالَ لِلْكَلْبِ : « الزِّمِ الْهُدُوءَ ! » وَفَتَحَ
ذِرَاعِيَهُ لِأُمِّهِ ، وَلَكِنْ عَيْنِيهِ ظَلَّتَا مُشْبَتَتَيْنِ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ .
وَانْطَلَقَتِ الْعَرَبَةُ بَعِيدًا وَالنَّابُ الْأَبْيَضُ يَعْدُو خَلْفَهَا . وَبَعْدَ رُبْعِ
السَّاعَةِ مَرَّتِ الْعَرَبَةُ خِلَالَ بَوَابَةٍ بَيْنَ صَفَيْنِ طَوِيلَيْنِ مِنَ الْأَشْجَارِ ،
وَمَا إِنَّ دَخَلَ النَّابُ الْأَبْيَضُ الْمَكَانَ حَتَّى هَاجَمَتْهُ كَلْبَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ
كِلَابِ الْحِرَاسَةِ ، وَرَأَى النَّابُ الْأَبْيَضُ الْعَرَبَةَ تَأْخُذُ سَيِّدَهُ بَعِيدًا ،
فَأَخَذَ يَعْدُو بَعِيدًا عَنِ الْكَلْبَةِ ، وَلَكِنَّهَا تَبِعَتْهُ . وَفَجْأَةً تَحَوَّلَ إِلَيْهَا
وَضَرَبَهَا بِكَتْفِهِ ، فَأَخَذَتْ تَتَدَحَّرُ عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَرَى النَّابُ الْأَبْيَضُ بِسُرْعَةٍ تَتَّبَعُهُ كَلْبَةُ الْحِرَاسَةِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ

أَسْرَعَ مِنْهَا . وَتَوَقَّفَتِ الْعَرَبَةُ عِنْدَ بَابِ الْبَيْتِ ، وَتَرَجَّلَ السَّيِّدُ .

وَفَجْأَةً انْدَفَعَ نَحْوُهُ كَلْبٌ يُدْعَى دِكٌ وَضَرَبَهُ عَلَى جَنْبِهِ ، فَاِنْقَضَ
عَلَيْهِ النَّابُ الْأَبْيَضُ وَلَكِنْ أَسْنَانُهُ كَادَتْ تَقْبِضُ عَلَى رَقَبَةِ دِك ،
فَاسْرَعَ نَحْوَهُمَا السَّيِّدُ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ . وَقَدْ انْقَدَتْ
كَلْبَةُ الْحِرَاسَةِ حَيَاةً دِك ، عِنْدَمَا قَفَزَتْ عَلَى النَّابِ الْأَبْيَضِ .

وَأَسْرَعَ سَكُوتُ إِلَيْهَا فَأَمْسَكَ النَّابُ الْأَبْيَضُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى
حِينَ أَبْعَدَ أَبُوهُ الْكَلْبَيْنِ الْآخَرَيْنِ .

قَالَ سَكُوت : « تَعَالَ أَيُّهَا الذُّئْبُ . عَلَيْكَ أَنْ تَبْقَى دَاخِلَ الْمَنْزِلِ
عَلَى حِينَ تَظَلُّ الْكِلَابُ خَارِجَةً . » فَدَخَلَ النَّابُ الْأَبْيَضُ وَرَقَدَ عِنْدَ
قَدَمِي سَيِّدِهِ .

الفصل الثامن عشر بَيْتُ السَّيِّدِ

كَانَ لِسُكُوتِ أَبٍ هُوَ الْقَاضِي سَكُوتٌ ، وَزَوْجَةٌ هِيَ أَلَيْسَ ،
وَطِفْلَانِ أَحَدُهُمَا فِي السَّادِسَةِ وَالْآخَرُ فِي الرَّابِعَةِ ، وَشَقِيقَتَانِ هُمَا
بِثْ وَمَارِي . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يُعَامِلُهُمْ جَمِيعًا كَمُمْتَلَكَاتِ
لِسَيِّدِهِ ، مِثْلَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ وَأَوْلَادُهُ مُمْتَلَكَاتِ
لِلْقُنْدُسِ .

لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ الْأَطْفَالَ ؛ فَقَدْ كَانُوا فِي الْقَرْيَةِ الْهِنْدِيَّةِ يُعَامِلُونَهُ
بِقَسْوَةٍ عِنْدَمَا كَانَ جَرُورًا . وَلَكِنَّهُ كَانَ يَسْمَحُ لِأَطْفَالِ سَيِّدِهِ بِأَنْ
يُرَبَّتُوا عَلَيْهِ وَيَلْعَبُوا مَعَهُ . وَعِنْدَمَا كَانُوا يَشْتَدُونَ فِي مُدَاعَبَتِهِ ، كَانَ
يَنْهَضُ مُبْتَعِدًا . أَمَّا خَارِجَ الْبَيْتِ فَقَدْ تَعَلَّمَ الْكَثِيرَ ؛ فَقِي أَرْضِ
الشَّمَالِ كَانَتْ كُلُّ الْحَيَوَانَاتِ بَرِيَّةً فِيمَا عِدا الْكِلَابِ ، وَكَانَ النَّابُ
الْأَبْيَضُ يَصِيدُهَا لِأَكْلِهَا . وَذَاتَ مَرَّةٍ عِنْدَمَا كَانَ يَدُورُ حَوْلَ الْمَنْزِلِ

فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ، رَأَى دَجَاجَةً هَرَبَتْ مِنَ الْفِنَاءِ فَأَكَلَهَا . وَفِي
وَقْتٍ لَاحِقٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ رَأَى دَجَاجَةً أُخْرَى ، فَانْدَفَعَ نَحْوَهُ أَحَدُ
الْخَدَمِ لِيُنْقِذَهَا وَكَانَتْ مَعَهُ عَصًا خَفِيفَةً . وَمَا إِنْ ضَرَبَ بِهَا النَّابَ
الْأَبْيَضَ حَتَّى قَفَزَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، فَانْقَذَتْهُ كَلْبَةُ الْحِرَاسَةِ ؛ إِذْ انْدَفَعَتْ
نَحْوَ النَّابِ الْأَبْيَضِ فَهَرَبَ الْخَادِمُ . وَأَرَادَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يَتَفَادَى
أَنْيَابَ كَلْبَةِ الْحِرَاسَةِ الْحَادَّةِ . وَلَكِنَّهَا ظَلَّتْ تُهَاجِمُهُ ، فَلَمْ يَقْوِ عَلَى
مُهَاجَمَتِهَا ؛ حَيْثُ إِنَّ قَانُونَ الْغَابِ لَا يَسْمَحُ لَهُ بِقِتَالِ أَنْثَى الذَّنْبِ أَوْ
الْكَلْبِ .

قَالَ سَكُوتٌ : « سَأَنْتَظِرُ حَتَّى أُمْسِكَ بِهِ ، وَعِنْدَئِذٍ سَأَعْلَمُهُ أَنْ
يَتْرَكَ هَذِهِ الطُّيُورَ وَشَأْنَهَا . »

وَذَاتَ صَبَاحٍ أُمْسَكَ سَكُوتٌ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ . وَكَانَ أَحَدُ الْخَدَمِ
قَدْ وَضَعَ خَمْسِينَ دَجَاجَةً مَيْتَةً أَمَامَ الْبَابِ . وَكَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ
يَبْدُو مُعْتَزًّا بِنَفْسِهِ . فَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ سَكُوتٌ ، وَأُمْسَكَ بِأَنْفِهِ وَقَرَّبَهُ مِنَ
الطُّيُورِ الْمَيْتَةِ ثُمَّ انْهَالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا . وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ لَمْ يُهَاجِمِ
النَّابُ الْأَبْيَضُ الدُّجَاجَ مَرَّةً أُخْرَى .

وَقَدْ تَعَلَّمَ أَلَا يُهَاجِمِ الْقِطَاطَ أَوْ الْأَرَانِبَ ، وَأَنْ يَتْرَكَ جَمِيعَ
الْكَاثِنَاتِ الْحَيَّةِ وَشَأْنَهَا . وَحَدَّثَ أَنْ أَطْلَقَ رَجُلٌ أَحْمَقٌ مِنْ سُكَّانِ
الْمَدِينَةِ سَرَّاحَ كِلَابِهِ الثَّلَاثَةِ كَيْ تُهَاجِمَ النَّابَ الْأَبْيَضَ ؛ فَحَثَّهُ
سَكُوتٌ وَهُوَ يُطْلِقُهُ قَائِلًا : « عَلَيْكَ بِهَا ! » وَبَعْدَ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ قَتَلَ

أَحَدَ الْكِلَابِ ، وَهَرَبَ الْكِلَابُ الْآخَرَانِ إِلَى الْحُقُولِ الْمَجَاوِرَةِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَرَكْتُ كِلَابَ الْمَدِينَةِ النَّابَ الْأَبْيَضَ وَشَأْنَهُ .

شَيْءٌ وَاحِدٌ كَانَ يُنْغَصُّ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ، وَهُوَ كَلْبَةُ الْحِرَاسَةِ ، فَهِيَ لَمْ تَكُنْ تَدْعُهُ يَنْعَمُ بِالْهُدُوءِ ، حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَزْمَجِرُ إِذَا مَا نَظَرَ إِلَى أَيِّ طَائِرٍ . كَانَتْ مِثْلَ رَجُلٍ الشَّرْطَةِ الَّذِي يَتَّبِعُهُ كَظْلُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، فَلَمْ يَكُنْ يَجِدُ الدَّعَاةَ إِلَّا حِينَ يَرْقُدُ مُتَظَاهِرًا بِالنُّومِ .

كَانَ السَّيِّدُ يَخْرُجُ كَثِيرًا عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ ، وَبِصُحْبَتِهِ النَّابُ الْأَبْيَضُ ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالْكَلَلِ حَتَّى لَوْ ظَلَّ سَائِرًا طَوَالَ النَّهَارِ . وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ سَكُوتُ يَرْكَبُ جَوَادَهُ عَبْرَ الْحُقُولِ حِينَ ظَهَرَ فَجَاءَ أَرْنبٌ بَرِيٌّ تَحْتَ أَرْجْلِ الْحِصَانِ ، فَأَجْفَلَ الْحِصَانُ وَأَوْقَعَ رَاكِبَهُ فَكَسِرَتْ سَاقُهُ . وَبَلَغَ الْغَضَبُ بِالنَّابِ الْأَبْيَضِ حَدًّا جَعَلَهُ يَقْفِزُ لِيُطَبِّقَ عَلَى رَقَبَةِ الْحِصَانِ ، فَصَاحَ سَكُوتٌ : « دَعَهُ ! دَعَهُ ! » ثُمَّ تَحَسَّسَ سَاقَهُ فَاکْتَشَفَ مَا حَدَثَ ، وَبَحَثَ فِي جَيْبِهِ عَنْ وَرَقَةٍ وَقَلَّمَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ ، فَقَالَ لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ : « اذْهَبْ إِلَى الْبَيْتِ . اذْهَبْ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا وَقَعَ لِي . » كَانَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يَعْرِفُ مَعْنَى كَلِمَةِ « بَيْت » ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يَتْرَكَ سَيِّدَهُ وَحْدَهُ .

رَدَّدَ سَكُوتٌ : « اذْهَبْ إِلَى الْبَيْتِ ! » وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ أَطَاعَهُ .

كَانَتْ الْأُسْرَةُ كُلُّهَا تَجْلِسُ خَارِجَ الْبَيْتِ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِنَسِيمِ

الْمَسَاءِ الْعَلِيلِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ النَّابُ الْأَبْيَضُ لَاهِثًا يُغْطِيهِ التُّرَابُ . وَهَرَعَ الْأَطْفَالُ لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْبَهُ بِهِمْ ، فَحَاصَرُوهُ فِي رُكْنِ الْبَيْتِ وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يُزْمَجِرُ ، مُحَاوِلًا شَقَّ طَرِيقَهُ بَيْنَهُمْ . وَقَالَتْ وَالِدَةُ سَكُوتٍ بِقَلْبٍ : « إِنِّي خَائِفَةٌ عَلَى الْأَطْفَالِ مِنْهُ ، وَأَخْشَى أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِمْ يَوْمًا مَا . » وَفِي النِّهَايَةِ اسْتَطَاعَ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَنْ يَقْفِزَ خَارِجًا مِنَ الرُّكْنِ ، وَهُوَ يُزْمَجِرُ ، فَأَوْقَعَ الْوَلَدَ وَالْبِنْتَ .

قَالَ الْقَاضِي سَكُوتٌ : « الدُّبُّ ذُبَّ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَثِقَ بِهِ ! »

قَالَتْ بَثْ شَقِيقَةُ سَكُوتٍ : « وَلَكِنَّهُ لَيْسَ ذُبًّا . »

قَالَ : « هَذَا مَا يَظُنُّهُ ابْنِي ، وَلَكِنْ ... » وَلَمْ يُكْمِلْ مَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ ، فَقَفَّ النَّابُ الْأَبْيَضُ أَمَامَهُ يُزْمَجِرُ ، فَقَالَ لَهُ : « إِلَيْكَ عَنِّي ! ارْقُدْ عَلَى الْأَرْضِ ! »

فَالْتَفَتَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى وَالِدَةِ سَكُوتٍ وَأَمْسَكَ ثَوْبَهَا بِأَسْنَانِهِ وَجَذَبَهُ . لَمْ يَعُدْ يُزْمَجِرُ الْآنَ ، بَلْ وَقَفَ وَرَأْسُهُ مُنْتَصِبٌ يَنْظُرُ فِي وُجُوهِهِمْ . كَانَتْ حَنْجَرَتُهُ تَتَحَرَّكُ ، وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا صَوْتُ . وَقَدْ بَدَلَ كُلُّ جَهْدِهِ لِتَوْصِيلِ الرِّسَالَةِ .

قَالَتْ وَالِدَةُ سَكُوتٍ : « أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ قَدْ بَلَغَ حَدَّ الْجُنُونِ . »

قَالَتْ بَثْ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْطِقَ بِشَيْءٍ . »

قَالَتْ أَلَيْسَ زَوْجَةُ سَكُوتٍ : « لَا بُدَّ أَنْ شَيْئًا مَا قَدْ حَدَثَ . »

عِنْدَئِذٍ وَقَفَ الْجَمِيعُ ، وَهَبَطَ النَّابُ الْأَبْيَضُ الدَّرَجَ عَدْوًا ، وَنَظَرَ خَلْفَهُ نَحْوَهُمْ لِيَتَّبِعُوهُ . بَعْدَ هَذَا الْحَادِثِ صَارَ لَهُ مَكَانٌ عَزِيزٌ فِي قُلُوبِ عَائِلَةِ سَكُوتَ . حَتَّى الْخَادِمُ الَّذِي عَقَرَ يَدَهُ قَالَ عَنْهُ : « إِنَّهُ كَلَبٌ فَطِنٌ ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذئبًا . »

أَصْبَحَتِ الْأَيَّامُ قَصِيرَةً ، فَقَدْ كَانَ الشِّتَاءُ عَلَى الْأَبْوَابِ ، وَكَانَ ثَانِي شِتَاءٍ لِلنَّابِ الْأَبْيَضِ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ ، وَقَدْ اتَّضَحَ لَهُ أَنَّ أَتْيَابَ كَلْبَةِ الْحِرَاسَةِ لَيْسَتْ حَادَّةً كَمَا كَانَ يَظُنُّ ، فَقَدْ عَضَّتْهُ عَضَّةً لَطِيفَةً عَلَى سَبِيلِ الْمُدَاعَبَةِ . كَانَتْ رَقِيقَةً وَلَمْ تُصِبهْ بِأَذَى ، وَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ نَسِيَ مَا كَابَدَهُ مِنْهَا طَوَالَ الْفَتْرَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَحَاوَلَ أَنْ يَلْعَبَ مَعَهَا بِطَرِيقَةِ رَزِينَةٍ بَدَتْ مُضْحِكَةً إِلَى حَدِّ مَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَادَتْهُ خِلَالَ الْحُقُولِ إِلَى الْأَحْرَاشِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ مَيْدَهُ يَعْتَرِمْ الْخُرُوجَ عَلَى ظَهْرِ حِصَانِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَيْثُ كَانَ الْحِصَانُ مُسَرَّجًا عِنْدَ الْبَابِ . وَلَكِنْ كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٍ فِي دَخِيلَةِ النَّابِ الْأَبْيَضِ - شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْ حُبِّهِ لِسَيِّدِهِ . لَقَدْ عَضَّتْهُ الْكَلْبَةُ بِرَفْقٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ تَجْرِي فَتَتَّبِعُهَا . وَرَكِبَ السَّيِّدُ وَاحِدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، أَمَّا النَّابُ الْأَبْيَضُ فَقَدْ جَرَى جَنبًا إِلَى جَنْبٍ مَعَ كَلْبَةِ الْحِرَاسَةِ فِي الْغَابَةِ ، تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَتْ كَيْشِي أُمُّهُ وَالذَّئْبُ الْأَعْوَرُ يَفْعَلَانِ مِنْذُ سَنَوَاتٍ بَعِيدَةٍ ، فِي الْغَابَةِ الصَّامِتَةِ فِي أَرْضِ الشَّمَالِ .

الفصل التاسع عشر

السَّجْنُ الْهَارِبُ

كَانَتِ الصُّحُفُ مَلَأَى بِأَخْبَارِ هَرَبِ سَجْنٍ يُدْعَى جِيمِ هُولٍ مِنْ سَجْنِ سَانْتِ كوينتين . وَكَانَ مُجْرِمًا خَطِيرًا وَوَحْشًا كَاسِرًا أَكْثَرَ مِنْهُ إِنْسَانًا . وَكَانَ شَرِسًا ، فَقَدْ وَثَبَ مَرَّةً عَلَى أَحَدِ حُرَاسِ السَّجْنِ ، وَأَنْشَبَ أَسْنَانَهُ فِي رَقَبَتِهِ مِثْلَمَا يَفْعَلُ أَيُّ حَيَوَانٍ مُفْتَرَسٍ .

بَعْدَ ذَلِكَ حُبَسَ فِي سَجْنٍ انْفِرَادِيٍّ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ لَمْ يَرْ فِيهَا أَحَدًا وَلَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَى أَيِّ مَخْلُوقٍ . كَانَ يَكْرَهُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَوَصَلَ بِهِ كُرْهُهُ إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ . وَذَاتَ لَيْلَةٍ تَمَكَّنَ مِنَ الْهَرَبِ ، وَقَدْ عَثَرُوا عَلَى جُثَّتِهِ ثَلَاثَةً مِنْ حُرَاسِ السَّجْنِ ، كَانَ قَدْ صَادَقَهُمْ فِي طَرِيقِهِ إِلَى السُّورِ الْخَارِجِيِّ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَسْلِحَتِهِمْ وَقَضَى عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ رُصِدَتْ مَكَافَاةٌ كَبِيرَةٌ لِمَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ . وَتَبِعَتْهُ الْكِلَابُ الَّتِي أَخَذَتْ تَتَشَمَّمُ أَثَرَ الدِّمَاءِ الَّتِي نَزَفَتْ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَأَحْيَانًا

ما كانوا يجدونه فتدور معركة بين الرجال وبينه ، يسقط خلالها بعض القتلى أو الجرحى ، ثم يختفي جيم هول . وكان القاضي سكوت هو الذي حكم عليه بالسجن . وكان جيم هول يردد : « سوف يطلق سراحي في يوم ما ، وعندها سوف أقتل القاضي » .

لم يكن الناب الأبيض كلباً منزلياً ؛ إذ لم يكن ينام في البيت ، ولكن منذ هرب جيم هول وأليس زوجة القاضي تنتظر كل ليلة حتى ينام الجميع ، ثم تدخل الناب الأبيض لينام في الردهة ، وتخرجه في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ أي فرد من الأسرة .

وذات ليلة عندما أخذ كل فرد في المنزل للنوم ، استيقظ الناب الأبيض ، ووقد في الردهة في هدوء تام . وكان يشمم الهواء ، فأحس أن شخصاً غريباً في المنزل . ثم سمع تحركات الرجل المتسلل فتبعه في سكوت .

تنصت الرجل هنيهة أسفل الدرج ، وانتظر الناب الأبيض ، وحين هم الرجل برفع قدمه ليبدأ صعود الدرج ، كان الناب الأبيض معتلياً ظهره ، وأرجله على كتفيه ، ثم غرس أنيابه في قفاه وسقطاً معاً على الأرض ، فقفز الناب الأبيض بعيداً . وبينما كان الرجل يجاهد ليقف على قدميه هاجمه الناب الأبيض ثانية .

استيقظ كل فرد في المنزل على أثر هذه الضجة التي حدثت في

الطابق السفلي إذ خيل لهم وكأن معركة شرسة تدور بين الشياطين . وأنطلقت رصاصات مسدس ، فصاح الرجل من الألم والفزع . وسمعت زمجرة عنيفة وصوت تحطم الأثاث ، ثم أصوات حشرجة وأنين ، ثم أطبق الصمت التام على المكان .

أضاء سكوت النور ، وهبط مع والده الدرج في بطء وحذر ، يحمل كل منهما مسدساً . لم تكن ثمة حاجة إلى مسدسات ، فقد أئجر الناب الأبيض عمله ؛ ففي وسط الردهة كان يرقد رجل بين الأثاث المحطم ، كان يرقد على جنبه ووجهه مختف تحت ذراعيه . وأزاح سكوت ذراع الرجل ثم أدار وجهه . كان الجرح الغائر في رقبته هو سبب مصرعه .

صاح القاضي سكوت : « جيم هول ! » ثم التفتوا إلى الناب الأبيض ، وكان يرقد أيضاً على جنبه ، وكانت عيناه مطبقتين ، ولكنه فتحها هنيهة ونظر إلى سيده ، فربت سكوت عليه ، فسمع زمجرة واهنة ، ثم أغلق عينيه ، ووقد جسمه ممدداً على الأرض .

قال سكوت : « إنه يوشك على الانتهاء » .

أخذ الطبيب يعمل لمدة ساعة ونصف الساعة ، ثم طلع ضوء النهار ، والأسرة كلها - ما عدا الأطفال - ملتفة حول الناب الأبيض في حالة من الترقب ، لتستمع إلى قول الطبيب : « إن

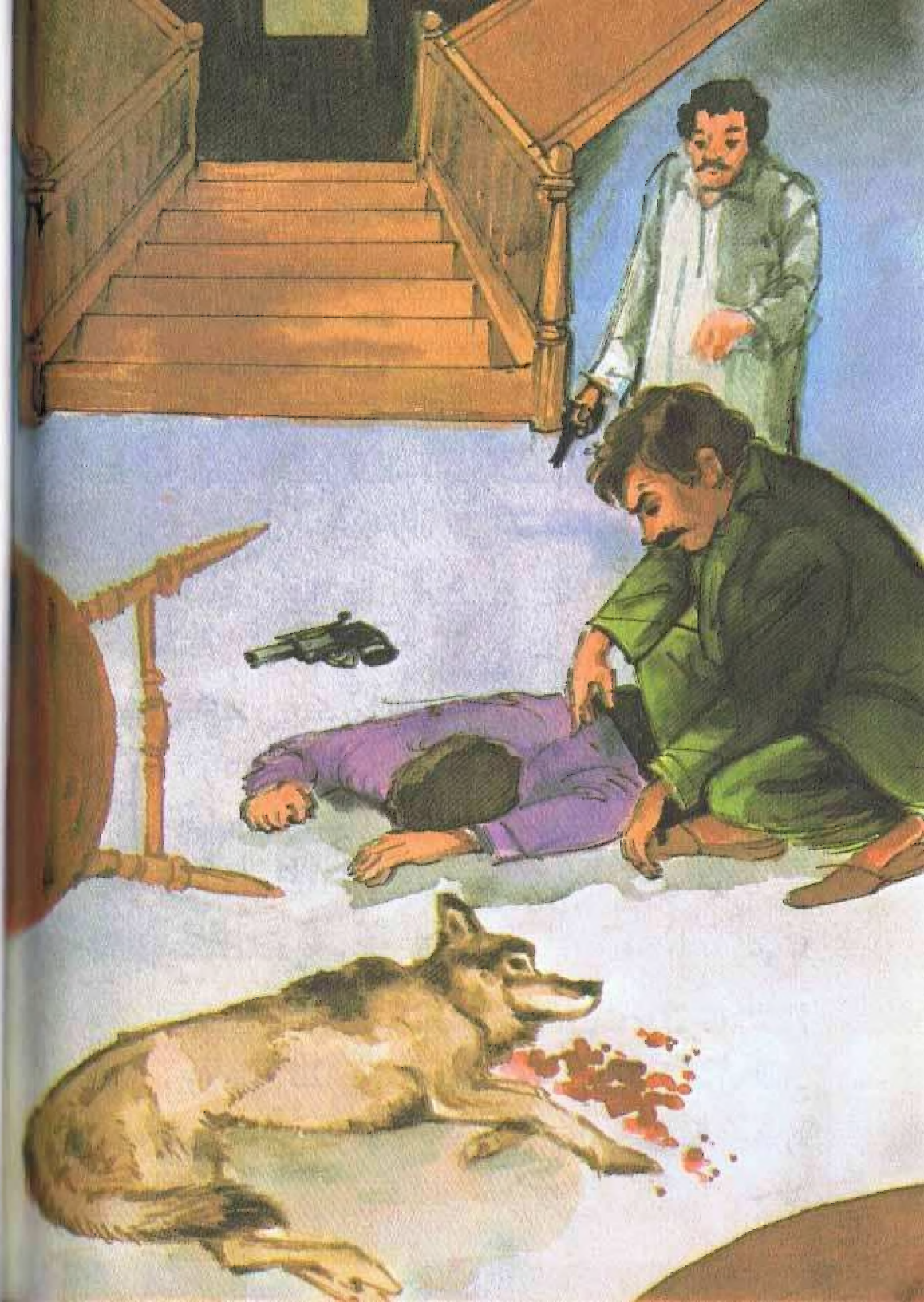
فُرْصَتُهُ فِي النِّجَاةِ تُمَثِّلُ وَاحِدًا فِي الْأَلْفِ ، فَسَافَهُ كُسِرَتْ ،
وَكَذَلِكَ كُسِرَتْ لَهُ ثَلَاثُ أَضْلَعٍ ، وَكَأَنَّ أَحَدَهُمْ قَدْ سَقَطَ فَوْقَهُ .
لَقَدْ اخْتَرَقَتِ الطَّلَقَاتُ جَسَدَهُ ، وَفَقَدَ كُلُّ دَمِهِ تَقْرِيًا . إِنَّ فُرْصَةَ
وَاحِدٍ فِي الْأَلْفِ لَيْسَتْ شَيْئًا يَدْعُو إِلَى التَّفَاوُلِ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ حَالَتَهُ
تُنَبِّئُ بِأَنَّ فُرْصَتَهُ فِي النِّجَاةِ لَا تَتَعَدَّى الْوَاحِدَ !

قَالَ الْقَاضِي سَكُوتَ لِلطَّيِّبِ : « يَجِبُ أَلَّا تَتْرَكَ آيَةَ فُرْصَةٍ
تُفْلِتُ دُونَ أَنْ تُسَاعِدَهُ . إِنَّ التَّكَالِيفَ لَا تَهْمُ ، وَسَوْفَ أُرْسِلُ فِي
طَلَبِ دُكْتُورِ نِيكُولَاسٍ مِنْ سَانِ فَرَنْسِيْسْكَو . يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ لَهُ
بِأَحْسَنِ الْأَطِبَّاءِ لِيَكُونُوا فِي مُسَاعَدَتِكَ ، وَلَسْتُ أَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّكَ ،
يَا دُكْتُورَ ، لَسْتَ طَبِيبًا مُمْتَازًا ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَلَّا نَدْعَ آيَةَ فُرْصَةٍ
تَكُونُ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِ . »

ابْتَسَمَ الطَّيِّبُ قَائِلًا : « إِنِّي أَدْرِكُ هَذَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ، وَيَجِبُ أَنْ
نَعْتَنِي بِهِ لَيْلَ نَهَارٍ كَمَا لَوْ كَانَ طِفْلًا مَرِيضًا . »

وَأَخِيرًا فَازَ النَّابُ الْأَبْيَضُ فِي مَعْرَكَتِهِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ .

وَكَانَ الطَّيِّبُ حِينَ قَالَ عِبَارَتَهُ بِأَنَّ فُرْصَةَ نَجَاتِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ عَشْرَةِ
آلَافِ فُرْصَةٍ ، إِنَّمَا كَانَ يُفَكِّرُ فِيمَنْ عَاشُوا حَيَاةَ رَعْدَةٍ لَيْنَةٍ فِي بُيُوتِ
مُرِيحَةٍ ، فَأَمثالُ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ تُعَوِّزُهُمُ الْقُوَّةُ لِلتَّمَسُّكِ بِالْحَيَاةِ .
أَمَّا النَّابُ الْأَبْيَضُ فَقَدْ أَتَى مُبَاشِرَةً مِنَ الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَا حَيَاةَ لِلضَّعِيفِ
فِيهَا ، وَهُوَ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَعْفٌ وَلَا بَأْيِيهِ وَلَا بِأَمِّهِ .



ذئب ؟ إِنَّ الْكَلْبَ لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَهُ .

قال الطبيب : « لا بُدَّ أَنْ يَتَعَوَّدَ الْمَشْيَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَبْدَأَ الْآنَ ، فَالْمَشْيُ لَنْ يُؤْذِيَهُ . اصْطَحِبْهُ إِلَى خَارِجِ الْبَيْتِ . »

وهكذا خَرَجَ النَّابُ الْأَبْيَضُ وَحَوْلَهُ الْأُسْرَةُ كُلُّهَا . كَانَ وَاهِنًا لِلْغَايَةِ ، فَبَعْدَ أَنْ مَشَى بِضَعِ خُطَوَاتٍ رَقَدَ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْمَشْيَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْبِنَايَاتِ الْخَارِجِيَّةِ ، حَيْثُ تُقِيمُ الْخَيْلُ .

وَكَانَتْ كَلْبَةُ الْحِرَاسَةِ تَرْقُدُ هُنَاكَ فِي مَدْخَلِ الْبَابِ ، وَحَوْلَهَا سِتَّةُ جِرَاءٍ صَغِيرَةٍ سَمِينَةٍ تَلْعَبُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ .

نَظَرَ النَّابُ الْأَبْيَضُ إِلَى الْجِرَاءِ فِي فُضُولٍ ، وَزَمَجَرَتْ الْكَلْبَةُ ، فَكَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَظَلَّ مِنْهَا عَلَى بُعْدٍ آمِنٍ . وَحَرَّكَ السَّيِّدُ جُرُوءًا نَحْوَهُ فَزَمَجَرَتْ الْكَلْبَةُ ، الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُهَا إِحْدَى السَّيِّدَاتِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا ، فِي قَلْقٍ .

أَخَذَ النَّابُ الْأَبْيَضُ يُرَاقِبُ الْجُرُوءَ ، ثُمَّ تَمَاسَّ أَنْفَاهُمَا ، وَشَعَرَ بِلِسَانِ الْجُرُوءِ الدَّافِعِ يَلْعَقُهُ ، فَأَخْرَجَ لِسَانَهُ وَأَخَذَ يَلْعَقُ وَجْهَ الْجُرُوءِ .

وَارْتَفَعَتْ صَيِّحَاتُ السُّرُورِ مِنَ السَّادَةِ وَهُمْ يُشَاهِدُونَ ذَلِكَ ، فَدَهَشَ وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَفْهَمَ شَيْئًا . ثُمَّ رَقَدَ بِسَبَبِ ضَعْفِهِ ، وَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ الْجِرَاءُ الْأُخْرَى ، فَسَمِعَ لَهَا بِأَنْ تَصْعَدَ عَلَى جِسْمِهِ وَتَقَعَ

الفصل العشرون نهاية هادئة

نَامَ النَّابُ الْأَبْيَضُ سَاعَاتٍ طَوِيلَةً ، اسْتَرْجَعَ خِلَالَهَا شَرِيطَ حَيَاتِهِ فِي الْغَايَةِ وَمَعَ الْقُنْدُسِ الْأَشْهَبِ . وَأَخِيرًا أَتَى الْيَوْمَ الَّذِي اسْتَعَادَ فِيهِ صِحَّتَهُ ؛ إِذِ التَّحَمَّتِ الْعِظَامُ الْمَكْسُورَةُ وَالتَّأَمَّتِ الْجُرُوحُ . وَأَصْبَحَ الْآنَ يُمَكِّنُهُ مُغَادَرَةُ الْفِرَاشِ ، وَالتَّقَفُ الْأُسْرَةَ كُلُّهَا حَوْلَهُ ، وَرَاحَ سَيِّدُهُ يَفْرِكُ أُذُنَيْهِ ، فَأَطْلَقَ زَمَجَرَةَ الْحُبِّ . وَأَطْلَقَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ سَيِّدَهُ لَقَبَ « الذَّئْبِ السَّعِيدِ » .

وَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَنْهَضَ عَلَى أَرْجُلِهِ ، وَلَكِنَّهُ سَقَطَ مِنْ قُرْطِ الْإِعْيَاءِ ، فَقَدْ رَقَدَ طَوِيلًا فِي فِرَاشِهِ . وَأَخِيرًا اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَرْجُلِهِ الْأَرْبَعِ مَعَ بَعْضِ الضَّعْفِ ، فَصَاحَتْ النِّسَاءُ بِفَرَحٍ : « الذَّئْبُ السَّعِيدُ ! »

قال القاضي سكوت : « أَلَمْ أَكُنْ أَقُولُ لَكُمْ طَوَالَ الْوَقْتِ إِنَّهُ

عَلَيْهِ . كَانَ يَرْقُدُ فِي الشَّمْسِ يُغَالِبُهُ النَّعَاسُ ، وَعَيْنَاهُ نِصْفُ
مُغْمَضَتَيْنِ .

المغامرات المثيرة

- ١ - مغامرة في الأدغال
- ٢ - مغامرة في الفضاء
- ٣ - مغامرة أسيرين
- ٤ - مغامرة في الجزيرة الخضراء
- ٥ - مغامرة على الشاطئ
- ٦ - الجاسوس الطائر
- ٧ - لصوص الطريق
- ٨ - حمد الغواص الشجاع
- ٩ - اللصان الغنيان
- ١٠ - مطاردة لصوص السيارات
- ١١ - مغامرات السندباد البحري
- ١٢ - لعبة خطيرة
- ١٣ - الحشرة الذهبية وقصص أخرى
- ١٤ - اللؤلؤة السوداء
- ١٥ - سر الجزيرة
- ١٦ - مغامرة في النهر
- ١٧ - شبح الحديقة وقصص أخرى
- ١٨ - سر الدرجات التسع والثلاثين
- ١٩ - الجاسوس وقصص أخرى
- ٢٠ - مغامرات يوم سوير
- ٢١ - المختطف
- ٢٢ - الكمبيوتر الرهيب
- ٢٣ - الأميرة المتوحشة وقصتان أخريان
- ٢٤ - موسيقى الليل وقصتان أخريان
- ٢٥ - الشاب الأبيض
- ٢٦ - موبى دك
- ٢٧ - سر القط الفرعوني
- ٢٨ - سجين زنذا
- ٢٩ - مغامرات هاكلبري فن
- ٣٠ - الفرسان الثلاثة



مكتبة لبنان

ساحة رياض الصلح - بيروت

01 C 198226

رقم الكمبيوتر